محاضرات في ...

تاريخ أوروبا الحديث

الفرقة الثالثة – تاريخ

د. محمد سيد إسماعيل

العام الجامعي

٢٠٢٤/ ٢٠٢٥م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد النبي الأمي. فالهم صل عليه وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله حق قدره ومقداره العظيم.

ثم أما بعد،،،

يسرنا أن نقدم للقارئ في التاريخ هذا الكتاب عن "تاريخ أوروبا الحديث " بداية من عصر النهضة حتي الحرب العالمية الأولى. جاء (الفصل الأول) بعنوان "عصر النهضة الأوروبية" حيث؛ ماهيته مميزاته وخصائصه وظهوره في إيطاليا، وتأخره في باقي الدول الأوربية. يأتي (الفصل الثاني) بعنوان "الكشوف الجغرافية" وكان الحديث عن الأسباب والنتائج، ناهيك عن بعض الأمثلة والتي أودت في النهاية إلى "الاستعمار الأوربي"، ومن خلال هذا الفصل نحاول أن نصل إلى حقيقة مهمة مفادها أن الكشوف الجغرافية والاستعمار وجهان لعملة واحدة. يأتي بعد ذلك (الفصل الثالث) والمعنون بـ"الإصلاح الديني" والذي ظهر في ألمانيا على يد "مارتن هانس لوثر" وغيره من المصلحين أمثال جون كلفن وزوجل. والذي أدى إلى ظهور البروتستانت والذي انتشر في أوروبا مسرى النار في الهشيم وما أعقب ذلك الاصلاح من اصلاح ديني كاثوليكي ُضاد متمثلاً في محاكم التفتيش، جماعة

اليسوعيين، مجلس ترنت، وأخيراً صلح أوجزبرج. ثم جاء الفصل الرابع للحديث عن الاصلاح الديني المضاد أو الكاثوليكي وأهم مظاهر ذلك الاصلاح.

بالحديث عن "انجلترا في القرنين ١٦ و ١٧" جاء (الفصل الخامس). ثم يأتي (الفصل الخامس) تحت مسمي التاريخ الفرنسي الحديث للإشارة إلى عصر التفوق الفرنسي، وما تلاه من الثورة السياسية والمعروف بـ "الثورة الفرنسية" كأول ثورة سياسية في أوربا، وكثاني ثورة سياسية في العالم في التاريخ الحديث في أعقاب الثورة الأمريكية. ثم الفصل السادس "روسيا القيصرية"، أما الفصل السابع والمعنون "الوحدة في القارة الأوروبية". ثم يأتي الفصل الثامن والمعروف بـ "الحرب العالمية الأولى" للحديث عن التحالفات والتحالفات الُمضادة ثم الأزمات التي أدت لتلك الحرب. وأخيراً تأتي قائمة بأهم المصادر والمراجع التي يمكن للباحث في تاريخ تلك الفترة الإطلاع عليها.

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

محمد سيد إسماعيل الشريف

أسيوط

تمهيد

☒ الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة

اتجهت أوروبا في العصور الوسطى إلى الزهد في الدنيا، والتبتل إلى الآخرة، وذلك نتيجة هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين وفلاسفة في القانون الروماني، فحاربوا المفكرين، وحاكموهم بقسوة، واحتكروا زعامة المجتمع، فتفشت فيه الخرافات وعم الجهل، فلم ينتفع الجمهور باللغة اللاتينية، لأنها كانت محتكرة لدى طائفة من رجال الكنيسة ولم تكن صناعة الورق، أو فن الطباعة معروفين في أوروبا، ولهذا كان المجتمع الأوروبي متخلفاً ويئن تحت وطأة الإقطاع ، ويعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتجزئة السياسية.

كان النظام الإقطاعي هو السائد في أوروبا في ذلك الوقت، فكانت ملكية الأراضي الزراعية تقتصر على أصحاب الدرجات الرفيعة بالمجتمع، أما باقى أفراد المجتمع فيعملون كفلاحين وعمال في الأراضي بنظام السخرة، ولا يتمتعون بحق الإمتلاك فيعيشون تحت وطأة الفقر وتسلب منهم كثير من حقوقهم.

قامت الدعوة إلى ضرورة التغيير والتحرر من هذا الظلام المدقع بعد سنوات مريرة عاشتها الدول الاوروبية تحت سيطرة الكنيسة على الأفكار والمعتقدات، والتصدي للفكر العلمي الذي قام به بعض العلماء وعلى رأسهم العالم الكبير جاليليو، وعاش الأوربيين عصر طويل تحت أحكام الكنيسة التي كانت ليها الكلمة العليا في فرض السلطة الدينية، ولكن فاق الأوروبيين وتمردوا عليها بعد أن انتشر فيها الفساد.

☒ ملامح التغيير والتحول من عصور أوروبا إلى العصور الحديثة

عصر النهضة كان حركة ثقافية أثرت بعمق على الحياة الفكرية الأوروبية في الفترة الحديثة المبكرة. بدأ في إيطاليا، وينتشر إلى بقية أوروبا من القرن السادس عشر، وشُعر بنفوذها في الفلسفة والأدب والفن والموسيقى والسياسة والعلوم والدين، وغير ذلك من جوانب التساؤلات الفكرية. علماء عصر النهضة استخدموا الأسلوب الإنساني في الدراسة، وبحثوا عن الواقعية والمشاعر الإنسانية في الفن

بحث إنسانيو عصر النهضة مثل بوجيو براشيوليني في المكتبات الرهبانية الأوروبية عن الأدب اللاتيني، والنصوص التاريخية والخطابية للعصور القديمة حيث ولّد سقوط القسطنطينية) عام ١٤٥٣) موجات لجوء للعلماء اليونانيين جالبين معهم مخطوطات باليونانية القديمة، سقط الكثير منها في المجهول في الغرب. كان في تركيز علماء عصر النهضة الأدب والنصوص التاريخية والذي اختلف كثيراً عن علماء القرون الوسطى في عصر نهضة القرن الثاني عشر، والذين كانوا يركزون على دراسة الجهود اليونانية والعربية في العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات بدلاً من النصوص الثقافية. أصحاب المذهب الإنساني في عصر النهضة لم يرفضوا الدين المسيحي عند إحياء الأفلاطونية الجديدة، بل على العكس من ذلك، خصصت العديد من أعمال عصر النهضة للدين المسيحي، وقد قامت الكنيسة برعاية العديد من الأعمال الفنية من عصر النهضة. على الرغم من ذلك، حدث هناك تغير دقيق في الطريقة التي اقترب بها المثقفون إلى الدين مما انعكس ذلك على المجالات المختلفة في الحياة الثقافية وبالإضافة إلى ذلك، العديد من الأعمال اليونانية المسيحية، بما في ذلك العهد اليوناني الجديد، أعيدت من بيزنطة إلى أوروبا الغربية وقد اشترك فيها علماء الغرب وللمرة الاولى منذ أواخر العصور القديمة. وقد تسبب هذا الانشغال الجديد بالأعمال المسيحية المكتوبة باليونانية (وبالذات العودة إلى النسخة اليونانية من العهد الجديد والذي روج له الإنسانيان لورينزو فالا ودسيدريوس إراسموس (إلى تمهيد الطريق لحركة الإصلاح البروتستانتية.

بعد عودة الفنون إلى الكلاسيكية بفترة طويلة كما في أعمال النحات نيكولا بيسانو، سعى رساموا فلورنسا بقيادة مازاتشو إلى إظهار شكل الإنسان بطريقة واقعية، وطوروا لذلك أساليب لتقديم الضوء والمنظور بشكل يبدو أكثر طبيعية. سعى الفلاسفة السياسيون، وأشهرهم نيكولو مكيافيلي، لوصف الحياة السياسية كما كانت حقا، لفهمها بعقلانية. في ١٤٨٦، ساهم النص الشهير للفيلسوف بيكو ديلا ميراندولا والمعنون بخطاب في كرامة الإنسان "(بدور مؤثر في النزعة الإنسانية في عصر النهضة الإيطالي. احتوى النص على سلسلة من الأطروحات المعتمدة على المنطق حول الفلسفة والفكر الطبيعي والإيمان والسحر. بالإضافة إلى دراسة اللغات اللاتينية واليونانية التقليدية، بدأ مؤلفوا عصر النهضة باستخدام اللغة العامية. هذا

التحول بالإضافة إلى بداية انتشار الطباعة ساعد على انتشار القراءة بين الناس، خاصة قراءة الإنجيل

بالمجمل، يمكن أن ننظر إلى عصر النهضة على أنه محاولة من قبل المفكرين لدراسة وتطوير الجانب العلماني والدنيوي، من خلال إحياء بعض الأفكار القديمة بالإضافة إلى إيجاد مناهج فكرية جديدة ومبتكرة. بعض العلماء مثل رودني ستارك، ينتقصون من عصر النهضة لصالح الابتكارات السابقة للدول–المدن الإيطالية في أوج العصور الوسطى، والتي ارتبطت بتجاوب الحكومة والمسيحية وولادة الرأسمالية. و وجهة النظر هذه ترى أنه في نفس الوقت الذي كانت فيه دول أوروبية عظمى (فرنسا وإسبانيا) ملكيات مطلقة، ودول أخرى تحت سيطرة مباشرة من الكنيسة، كانت الجمهوريات الإيطالية المستقلة تعمل على تطبيق مبادئ الرأسمالية التي ابتكرتها العقارات الرهبانية وفجرت بذلك ثورة تجارية واسعة وغير مسبوقة سبقت عصر النهضة وقامت بتمويله.

يرى كثيرون أن الأفكار التي امتاز بها عصر النهضة كان لها أصول في فلورنسا في القرن الثالث عشر، خاصة في كتابات دانتي أليغييريوفرانشيسكو بتراركا وجوتو دي بوندوني حاول بعض الكتاب أن يحدد بداية عصر النهضة بشكل دقيق حيث اقترح أحدهم أن نقطة البداية كانت في عام ١٤٠١ عندما تنافس العبقري لورنزو جبرتي مع خصمه فيليبو برونليسكي للفوز بعقد بناء الأبواب البرونزية لبيت المعمورية الخاص بكاتدرائية فلورنسا) وقد فاز جبرتي بينما يرى آخرون منافسة أكثر عمومية بين الفنانين والمثقفين مثل برونليسكي، وجبرتي، ودوناتيلو ومازاتشو لأجل الفوز بالمشاريع الفنية والتي أثارت الإبداع في عصر النهضة. ومع ذلك لا يزال محل جدل كبير لماذا بدأ عصر النهضة بشكل عام، ولماذا في إيطاليا تحديداً. وفقا لذلك، طرحت العديد من النظريات لتفسر أصولها.

خلال عصر النهضة، ذهب المال والفن جنبًا إلى جنب. الفنانون يعتمدون كليا على الرعاة بينما الرعاة يحتاجون إلى المال لدعم العباقرة. الثروات تدفقت إلى إيطاليا خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من خلال التبادل التجاري في قارة آسيا وأوروبا، حيث أن تعدين الفضة في تيرول قد زاد من تدفق المال،

بالإضافة إلى أن معدات الرفاهية المجلوبة من العالم الشرقي خلال الحروب الصليبية قد ساهمت في زيادة ازدهار جنوة والبندقية .

مراحل النهضة الإنسانية للاتينية واليونانية

وفي تناقض شديد مع العصور الوسطى، عندما كان الباحثون اللاتينيون يـُركزون بشكل كامل على دراسة أعمال العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات عند العرب واليونانيين، كان الباحثون في عصر النهضة مهتمين في دراسة واستعادة النصوص الأدبية والتاريخية والخطابية لدى اللاتينين واليونانيين. بشكل عام، بدأ ذلك بمرحلة لاتينية في القرن الرابع عشر، وذلك عندما قام علماء من عصر النهضة مثل بترارك وكولوتشو سالوتاتي ونيكولو دي نيكولي وبوجيو براشيوليني بتمشيط مكتبات أوروبا بحثا عن أعمال مؤلفين لاتينيين أمثال شيشرون وتيتوس ليفيوس وسينيكا. في أوائل القرن الخامس عشر، تم استعادة الجزء الأكبر من الأدب اللاتيني، وفي المرحلة اليونانية من عصر النهضة كانت الحركة الإنسانية هي القائمة، كما رجع العلماء في أوروبا الغربية إلى استعادة النصوص اليونانية الأدبية والتاريخية والخطابية واللاهوتية القديمة.

هذا وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم تاريخ أوربا إلى ثلاثة عصور (القديم والمتوسط والحديث)، وأساس هذا التقسيم هو اطلاق اسم العصر على عدة قرون من الزمن، كانت فيها أسس الحياة واحدة أو متشابهة ومتقاربة "سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفنياً".

على العكس من الكتب اللاتينية التي حافظت على أصالتها وتُرست كما هي في الغرب الأوربي منذ القدم، إلا أن دراسة الكتب الإغريقية كانت محدودة جداً في العصور الوسطى في أوروبا. فقد تمت دراسة الأعمال الإغريقية القديمة في العلوم والرياضيات والفلسفة منذ أوج العصور الوسطى في غرب أوروبا والعالم الإسلامي (عادة بالترجمة)، ولكن الآداب الإغريقية والأعمال الخطابية والتاريخية (مثل هوميروس والدراميين الإغريقيين ديموستيني وثوسيديديس وما إلى ذلك) لم يخضعوا للدراسة لا في العالم اللاتيني ولا القرون الوسطى الإسلامية وإنما تمت دراسة هذه النصوص آنذاك عن طريق الباحثين البيزنطيين. من أكبر انجازات علماء عصر النهضة هو جلب الإنتاج الثقافي الإغريقي كاملا إلى غرب أوروبا للمرة الأولى

منذ العصور القديمة.ويُرجع البعض تاريخ حركة إعادة دمج النصوص اليونانية الأدبية والتاريخية والخطابية واللاهوتية في مناهج أوروبا الغربية إلى دعوة كولوتشو سالوتاتي للدبلوماسي والعالم البيزنطي مانويل كرايسالريس) حوالي ١٣٥٥-١٤١٥) لتدريس اليونانية في فلورنسا.

الفصل الأول
عصر النهضة الأوروبية

كلمة نهضة في معناها الضيق "حركة بعث التراث القديم أو إحياء ذلك التراث" أي أنها تعني البعث الجديد أو حرفياً الولادة الجديدة، أما في معناها الشامل فهى تعني تحرر العقل الإنساني من قيود العصور الوسطى.

خصائص النهضة

تتمثل في الخصائص السياسية والاقتصدية والفكرية والفنية، فأما عن السياسة فلم تكن فكرة الدولة والأمة بالمعنى الذي نفهمه بها الآن، مفهومة في العصور الوسطى، فعلماء النظريات السياسية في العصور الوسطى، كانوا يؤمنون أن المسيحية تكون دولة واحدة، يحكمها البابا والإمبراطور فيما بينهما بتفويض من الله تعالى، الأول في الشئون الدينية، والثاني في الشئون الدنيوية، ولهذا فإنه يجب على كل الملوك إطاعتهما. وأثناء الإنهيار السياسي للإمبراطورية التي عرفتها العصور الوسطى بدأت الدول القومية تأخذ في النمو، ولكن في خطوات بطيئة ومضنية، وقد ظهرت في انجلترا أولاً حيث كانت الظروف ملائمة لنشأتها، ثم في إسبانيا والبرتغال وفرنسا وفي الولايات الكبرى من مجموعة الدويلات الألمانية، ومع بداية القرن السادس عشر توطدت دعائم النظم القومية في انجلترا وفرنسا وإسبانيا.في مجال السياسة الخارجية يعتبر النصف الثاني من القرن الخامس عشر من الفترات المهمة والحاسمة في تاريخ أوربا، فالدولة البيزنطية قد انهارت بسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وبدأت مرحلة جديدة بين الإسلام والمسيحية تتمثل في الدولة العثمانية ودول أوربا كلها، غير أن المد الإسلامي في الجهات الجنوبية الشرقية من أوربا قد تزامن مع انحسار في الأجزاء الجنوبية الغربية مثال ذلك سقوط غرناطة في عام ١٤٩٢م.

ولما ظهرت النهضة بدأ الناس يفكرون في النظم الحكومية، وجاءت النظرية التي تقول بأن مهمة الحكومة هي السهر على مصالح الأمة، فبدأ الناس يعتقدون أن

أصلح الحكومات أقدرها على أداء هذه المهمة، وبدأ ما نسميه بالعلوم السياسية وظهر الإيطإلى "ميكافيللى" بآرائه السياسية في كتابه "الأمير" الذي درسه كل من شغلته السياسة، والذي يتضمن دراسة واسعة عن إلاستبداد من الناحيتين النظرية والعملية. وقد اعترض ميكافيللي على منازعة زعماء الكنيسة ودفعهم بأن الحكام السياسيين الزمنيين ينبغي لهم الخضوع للسلطة العليا لهيئة الكهنوت الروحية، وأصر على ضرورة استقلالهم عنها.

من الناحية الاقتصادية فقد أصبح المال، وهو دائماً قوة يُحسب حسابها في شئون البشر، أكثر توافراً في أواخر العصور الوسطى، ثم سرعان ما ازداد وفرة مع بداية القرن السادس عشر فقد نمت التجارة في كل الأقطار الغربية في أعقاب العامل الأول الذي أنعشها أثناء الحروب الصليبية، ونتج عن ذلك نشأة طبقة وسطى. وقد أدى اتساع نطاق التجارة الأوربية إلى ظهور حركة الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، التي ترتب عليها تغير كبير في النظم الاقتصادية الأوربية، فبعد أن كان الاقتصاد الأوربي اقتصاداً زراعياً راكداً أصبح اقتصاداً ذا طابع تجاري وزراعي، وبدأت الصناعة تنمو، مما ساعد على نمو المدن التي ازدحمت بالسكان وتحولت إلى سوق رابحة لتصريف السلع الصناعية، وقد جذب ذلك عدد كبير من أهل الريف المشتغلين بالفلاحة إلى المدن، حيث أحس الفرد أنه في هذا المجتمع الجديد يستطيع أن يعيش حراً دون أن يخضع للعبودية التي كان يخضع لها في ضيعة الإقطاعي، ولذا ازدادت الهجرة من الريف إلى المدينة حتى اندثرت قرى بأكملها.نتيجة للتحرر الاقتصادي وبداية التحرر الاجتماعي،ستكون الحرية بكل صورها من خصائص ومظاهر النهضة الأوربية.

على أية حال فإن حركة النهضة جاءت من خارج الكنيسة؛ وكانت علمانية وحاربت زيادة سلطة الكنيسة، وكانت عقلانية ورفضت وجود الكنيسة كواسطة بين الفرد والخالق، ولقد عملت هذه الحركة على إضعاف الكنيسة، وساعدت على إستمرار التغير الاجتماعي والفكري، ولقد اعتمدت حركة النهضة على سكان المدن ورجال المهن والتجارة، والذين تزايدت الثروات في أيديهم، لم يكن الفرد في العصور الوسطى أصل المجتمع، وإنما كان يتمثل ذلك في الجماعة أو الطائفة أو النقابة، فالمرء كفرد لم يكن له وزن أو اعتبار وإنما كان له شأنه كتابع أو جزء من الهيئة

التي ينتمي إليها، ولذلك لم يكن هناك مجال لنشاط المرء كفرد، ولا فرصة للظهور في المجتمع، وبالتالي لم تتهيأ له الظروف لإبراز شخصية مستقلة، لها حرية الرأي والتصرف، والطريقة الوحيدة التي كانت أمام رجل طموح يبغي الوصول إلى الرفعة والشهرة، هي انخراطه في سلك أكبر الطوائف حينئذ وهي الكنيسة، أما في عصر النهضة؛ فقد ظهر الفرد بنفسه في المجتمع، وأصبح بالتدرج أصله، بعد أن كانت الجماعة أو الهيئة، وبذلك تمهد السبيل أمام الفرد، لإظهار عبقريته واستغلال مواهبه كما يشاء.

ومن خصائص النهضة أن أفسحت للنساء مجالاً، وزادت في قيمتهن، لأن أهم ظاهرة في النهضة الإيطالية عبادة الجمال، وإحلال الفروق محل التقشف، وترك الأفكار المحزنة، والعناية بصحة الجسم ونشاطه فكثرت مناقشات السيدات في هذه الموضوعات التي تناسبهن، وقد تنوع نشاط النساء حتى شمل الرقص والغناء ودراسة الفلسفة والآداب القديمة، والعناية بالأسرة والملابس وحكم الأقاليم، وفي كل هذا أظهرن مقدرة كبيرة، ونشأت حول بعضهم دوائر للعلم والأدب، وفي هذه المجتمعات بدأت الفكرة الأوربية الحديثة، من أن حرية الإختلاط تحوط الأخلاق بسياج أقوى من سور العزلة.

كما تميزت هذه الفترة بظهور بعض الكتاب والأدباء الذين ثاروا على الروح القديمة، وحرروا عقولهم من بعض قيود العصور الوسطى مثل الإيطالي "دانتي اليجيري" الذي يعتبر أول من استعمل اللغة الإيطالية في التأيف؛ فنشر كتابه الشهير "الكوميديا الإلهية" وهو عبارة عن رحلة خيالية إلى الجحيم والمطهر والجنة. أيضاً بدأت روح البحث والنقد على الخرافات الذائعة والعقائد المضللة، بل قادت إلى التهجم عن الكنيسة ونقد رجال الدين، وطرح أفكارهم في كثير من الأحيان، ونتيجة لهذا التطور الفكري، ذاع كثير من النظريات العلمية الجديدة كفكرة كروية الأرض التي قام بنشرها "نيقولاس كوبر نيكس". ناهيك عن العالم الإيطالي "جاليليو" أول من استعمل المنظار في رصد الكواكب، وكان لروح البحث وحرية التفكير والتحرر من قيود العصور الوسطى أن حدثت عدة اختراعات مثل اختراع البارود، أيضاً الإهتداء إلى استعمال "البوصلة" والاسطرلاب، يرجع إليه الفضل في تشجيع الملاحين على الإقدام ومواجهة الأخطار في سبيل تحقيق الغايات، مما أدى إلى الكشوف الجغرافية التي قلبت

أوضاع العلم، كما أن اختراع "جوتنبرج" الطباعة، وكان الإنجيل أول كتاب طبع في عام ٤٥٥ ام يعد أكبر اختراع في العصور الحديثة وقد أحدث انقلاباً عظيماً في عالم الكتابة والآداب.

النهضة في ألمانيا وانجلترا

اتسم النصف الثاني من القرن الخامس عشر في ألمانيا بتقدم ملحوظ في مجال التربية والتعليم والثقافة، كما تتميز بنمو سلطان الأمراء المحليين على نحو ماحدث في إيطاليا، وقد خضعت النهضة الفنية في ألمانيا لتأثيرات كثيرة أهمها التأثير الإيطالى، كما اتجهت الفنون في ألمانيا نحو الواقعية الطبيعية، ولم يُقبل الألمان على دراسة التراث القديم منذ بداية النهضة كما هو الحال في بلدان أوربا الأخرى، وذلك بسبب معارضة رجال الدين لهذه الدراسات ذات الإتجاهات المتحررة، وأغلب ما ظهر في ألمانيا من دراسات إنسانية كان يهدف إلى خدمة الشئون الدينية.

وكانت الكنيسة في ألمانيا تمتلك ثلث الأراضي الزراعية، وأصبح رجالها على درجة كبيرة من الثروة، وظهرت عليهم دلائل الترف والإسراف وبشكل لا يعصمهم من الفساد، أما الأمراء فكانوا يحاربون بعضهم بعضاً، وحرمت ألمانيا نتيجة للإتجاهات الفردية عند النبلاء، وعدم وجود سلطة قوية للإمبراطور، من أن تسير صوب الوحدة، وفشل الدايت في الوصول إلى إصلاح دستوري، ولم يتمكن من إنشاء جيش امبراطوري دائم، ولا من وضع نظام ثابت لجمع الضرائب الإمبراطورية، بعد أن رفض الأمراء والنبلاء العمل مع القوات الإمبراطورية، فظلت الإمبراطورية مسئولية القوة.

وفي القرن السادس عشر حدث تغير في ألمانيا، فزداد الفقر نتيجة الكشف عن الطرق البحرية الجديدة، وسادت البلاد فوضي دينية واجتماعية نتجية لتحول أذهان الأهالي إلى ضرورة الإصلاح الديني، وزاد الإهتمام بكتابات " لوثر" كما زاد الإهتمام بالموسيقي التي سينغون فيها، وممن اشتهر في عصر النهضة؛ "حنا روخلين" وتلميذه "ملانكتن" و"إرسمس" الذي كان يكره موسيقي الكنيسة، وأهم عمل له نشر النسخة الإغريقية الأصلية للإنجيل مرفقة بترجمة لاتينية وكانت هذه الترجمة فاتحة عصر جديد، إذا اجتذبت القراء الذين يعجبهم جمال الأسلوب، وقد تعلم "حنا روخلين" الإغريقية في باريس وروما، وكان "ملانكتن" أستاذ اللغة الإغريقية في جامعة "وتنبرج" وهو الذي حصن "مارتن لوثر" على تعلم الإغريقية، وكان ساعده الأيمن

حين ثار لوثر على المذهب الكاثوليكي، أما "إرسمس" فقد قام بتدريس اللغتين اللاتينية والإغريقية.

أما في انجلترا فقد تأخر ظهور النهضة بسبب ما عانته من حرب المائة عام التي انتهت بطرد الانجليز من فرنسا عام ١٤٥٣م، ولم يمض عامانً على نهاية هذه الحرب الطويلة، حتى بدأت حرب جديدة معروفة باسم "حرب الوردتين" (١٤٦١-١٤٨٥)م، وبعد أن تركت انجلترا محاولتها احتلال فرنسا، عملت على بسط نفوذها على الجزر البريطانية، وعلى ضرب الإقطاع الموجود داخل المدينة، والتوسع في التجارة، وإنشاء المستعمرات فيما وراء البحار، ويرجع الفضل في كل ذلك إلى حروب الوردتين.

وفي عام ١٤٩٥م هاجمت فرنسا روما ونابولي، ولكن قوات البابا مع جيوش روسيا وانجلترا وإسبانيا هاجمت القوات الفرنسية، وأجبرتها على الإنسحاب من نابولي، كما اشتركت القوات الإنجليزية مع القوات البابوية والسويسرية والإسبانية عام ١٤٩٩م القوات الفرنسية التي احتلت نابولي مرة جديدة، واضطرتها إلى التراجع عام ١٥٠١م، وكان استمرار الحروب في انجلترا من أهم أسباب تأخر ظهور النهضة فيها، وبعد نهايتها أخذت الدراسات الإسبانية طريقها إلى انجلترا من خلال بعض الانجليز العائدين من إيطاليا ومدنها.

ومنذ أوائل القرن السادس أخذ طلاب المعرفة من جامعة اكسفورد يفدون إلى إيطاليا للإطلاع على آداب وفنون وعلوم النهضة الإيطالية، وقد نادت النهضة في انجلترا بتحرير الفكر والبحث العلمي من حواجز وقيود الكنيسة، كما دعت إلى كنيسة قومية متحررة من سيطرة البابوية، وفي انجلترا أظهر المسرح المتنوع الملئ بالمغامرات والمفاجآت.

وقد ظهر في انجلترا العديد من رواد النهضة الذين كانوا أصدقاء "إرسمس" أمثال كولت ومور وغيرهم، والمعبر الأخير عن النهضة "فرنسيس بيكون" ومن اتصاله بالحركة، طلبه أن تعزف الموسيقي في حجرة مجاورة له أثناء تفكيره، ووضع الأزهار والأعشاب المعطرة على المائدة لتنعش روحه وذاكرته، وقد برع في البحث العلمي من الناحيتين النظرية والتجريبية، ومن خصائص النهضة في انجلترا التوفيق بين

الفن والعقيدة وبين الجمال والدين ومن ذلك ماكنبه "سبنسر" وأكبر مظاهر هذه الحركة بلوغ فن الدراما حد الكمال في روايات شكسبير.

النهضة في فرنسا وإسبانيا

ومن إيطاليا أيضاً سرت النهضة إلى فرنسا، فوجد العلماء والشعراء والفنانون أرحب صدر في ملوك فرنسا وأمرائها، من لويس الحادي عشر إلى فرانسوا الأول، على أن روح النهضة تتمثل في "مرجريت" أخت فرانسوا؛ إذ كانت مرجريت فنانة شاعرة واسعة الإطلاع، لا تنقطع الرسائل بينها وبين إرسمس، ومن أساطير النهضة الفرنسية "فرانسوا ريليه" "Francois Rebelais" (١٨٤٣-١٥٥٣)م، وكان أول أمره راهباً، ثم صار طبيباً وداعياً إلى البحث العلمي، وهو أول فرنسي خالف أمر البابا، وشرح جثة إنسان، وكان رابليه متعطشاً لتحصيل العلم والفضيلة والتجربة.

مرت فرنسا بفترة صعبة في تاريخها، في الوقت الذي ظهرت فيه النهضة في إيطاليا، بسبب الحروب الطويلة التي خاضتها مع انجلترا لاحتلالها بعض مدن إيطاليا، وأدت هذه الحروب إلى ضعف فرنسا خاصة مع تحالف كثير من الدول الأوربية ضدها مثل قوات البابا والبندقية وسويسرا وانجلترا وإسبانيا وبعض الدويلات الألمانية، ولكن بعد غزو فرنسا إيطاليا، شجع ملوك فرنسا عدداً من العلماء الإيطاليين والبيزنطيين على المجئ إلى باريس لتدريس اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية فيها ثم زاد ظهور إعجاب ملوك فرنسا بالنهضة، وقد شجع فرنسوا الأول هذه الحركة في بلاده وأنشأ كلية فرنسا عام ١٥٣٠م، خارج نطاق جامعة باريس، كما انتشر في النحت والرسم الفلمنكي غرباً إلى فرنسا، كما أثرت فرنسا في الفلاندرز.

أما إسبانيا فقد كانت على اتصال بالنهضة الإيطالية نظراً لما كان للأسبان من وجود سياسي في إيطاليا منذ أواخر العصور الوسطي، خاصة من خلال باباوات روما الذين كانوا من أصل إسباني، وقد كانت أهمية النهضة الإيطالية لأوربا تكمن في إحياء الدراسات الكلاسيكية، ولكن منذ أوائل القرن السادس عشر تراجعت حركة النهضة في هذا المجال في إسبانيا، والسبب هو أن هذه الحركة قد ظهرت كانها علمانية معادية للكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع ملوك إسبانيا، وفي مجال الأدب اهتم الأدباء في إسبانيا بعواطف الفروسية وأظهروا السمات والمثل العليا التي يتخلي

بها الفارس، وقد كان المسرح من أبرز مظاهر النهضة الأدبية في إسبانيا، كما تأثر الفن الإسباني بالأسلوب الإيطالي بالرغم من أنه بقي محتفظاً بسمات ألفن القوطي.

الفصل الثاني
النهضة في إيطاليا

تعد إيطاليا المهد الأول للنهضة في أوربا، حيث وصلت بها إلى حد الكمال والنضوج، ثم أخذت تنتشر منها إلى جهات أوربا المختلفة شيئاً فشيئاً، ولعل أهم دليل على بدء النهضة في إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوربية الأخرى هو تحرر المدن الإيطالية من سيطرة الإقطاع قبل غيرها من الدول الأخرى، وأصبحت عبارة عن دويلات صغيرة، وقد حكم هذه المدن حكام مطلقون.

وقد تمثلت مظاهر النهضة في إيطاليا في الآتي:

١-جمع المخطوطات:

قام الحكام بجمع المخطوطات القديمة المتواجدة بمكتبات الأديرة والكاتدرائيات، وقد أسهم أمراء الأسرات الحاكمة في المدن الإيطالية في جمع هذه المخطوطات والكتب القديمة النادرة، وأفدوا العلماء لهذا الغرض في أوربا والشرق، كما شجع الباباوات والكاردينالات هذه الحركة، وأنفقوا أموالاً طائلة للبحث عن هذه المخطوطات في إيطاليا والإمارات الألمانية وغيرها من أقطار أوربا. وكان أمراء إيطاليا وأثرياؤها يتنافسون على جمع المخطوطات، حتى أصبح اقتناءها مظهراً سائداً من مظاهر النهضة في إيطاليا، ولذا كان من الطبيعي أن تنشأ حول المخطوطات تجارة منتشرة، وكانت القسطنطينية بعد سقوطها مركز هذه التجارة، والواقع أن المخطوطات القديمة كانت المصدر الأول في حركة إحياء الدراسات القديمة.

٢-إنشاء المكتبات العامة والخاصة:

كان من الطبيعي أن يترتب على جمع الخطوطات القديمة، الإهتمام بإنشاء المكتبات العامة والخاصة؛ ففي مستهل الخامس عشر الميلادى جمعت "جير سان ماركو" في فلورنسا مكتبة احتوت على ثمانمائة من المخطوطات القديمة التي اشتراها بماله الأمير التاجر "كوزيمو دي ميدتشى" كما أنشأ في أواخر ذلك القرن مكتبة عظيمة في

الفاتيكان، وقبل سقوط القسطنطينية، ترجمت كتب "أرسطو وأفلاطون وبلوتارك" إلى اللغة اللاتينية، وجاء بعض الإغريق إلى فلورنسا ليعلموا اللغة والفلسفة في جامعاتها.

٣-الأكاديميات:

كانت هذه الأكاديميات عبارة عن مراكز أو حلقات يجتمع فيها عشرات الطلبة حول الأساتذة للإستماع والدراسة، وعن طريق الأكاديميات التي انتشرت في إيطاليا انتشرت الحركة الإنسانية، وأقدمها في عصر النهضة نشأ في نابولي على يد "ألفونسو ٥" صاحب أراجونة الذي كان حاكماً على نابولي عام ١٤٤٢م، وفي فلورنسا نشأت الأكاديمية الفلورنسية أو الأكاديمية الأفلاطونية.

٤-تقدم علم التاريخ:

كان الإهتمام بالتاريخ من مظاهر النهضة والإحياء في إيطاليا، فلأول مرة أخذت الدراسة التاريخية على أساس المادة الموثوقة وليس على أساس الرواية والسماع، كما أخذت الدراسة التاريخية تصطبغ بالصبغة الزمنية، وتنتقل من يد رجال الدين إلى العلمانيين، وكان من أبرز مؤرخي عصر التهضة "لورنزو" الذي وُلِدَ ونشأ في روما، ثم صار قسيساً فكاتب سر ألفونسو الخامس صاحب أرجوانة.

٥-ظهور اللغات الحديثة:

يعتبر نمو اللغات الوطنية واعتداؤها التدريجي على اللغة اللاتينية التي كانت لغة الأدب والعلم، حلقة الاتصال بين عصر النهضة والعصور الحديثة، فمنذ عهد الدولة الرومانية القديمة، كانت هناك لغة لاتينية عامية إلى جانب الفصحى، ولم تكونا لغتين مستقلتين بل كانت من أصل واحد، وتأثرت لغة العامة بالألفاظ المحلية والإقليمية وزاد الإختلاف والفوارق بين اللهجات العامية واللغة الفصحى، حتى تطورت هذه اللهجات إلى لغة ثانية هي اللغة العامية التي أصبحت مستقلة عن اللغة الفصحى، وقد دعت طائفة تطلق على نفسها اسم طائفة الإنسانيين إلى إحياء اللغات القديمة.

٦-تطور الفنون الجميلة:

كان من الطبيعي بعد أن خفت قبضة الكنيسة على الحياة الاجتماعية في أوربا، مع ظهور طبقة مادية النظرة إلى الحياة كالطبقة البرجوازية، أن ينعكس ذلك على الفنون، التي كانت في العصور الوسطى موجهة لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية بوجه عام، إذ دبت فيها روح علمانية متحررة من تزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك بصفة خاصة في فن الرسم وفن النحت وفن العمارة. بالنسبة لفن الرسم فيعتبر الفن الأول لعصر النهضة في إيطاليا، وقد اصطبغ بصبغة دنيوية سافرة، وتحرر من قيود وتزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك في إبراز أجزاء جسم الإنسان وتصوير جمال الوجه والطبيعة، وقد تنافست المدن الإيطالية حتي برزت: فلورنسا والبندقية. ومن أشهرهم "دافنشي" وصورة الجيوكندا "الموناليزا، و"مايكل أنجلو" وصورة "يوم الحساب". ويعتبر ليوناردو وأنجلو زعيما المدرسة الفلورنسية، أما ليوناردو فقد اشتمل نشاطه على التصوير والنحت والموسيقى والأدب والهندسة العسكرية والعلوم الطبيعية، وأن قامت شهرته على فن الرسم.

عوامل جعلت من إيطاليا المهد الأول للنهضة

١-المدن الإيطالية:

كانت مدن إيطاليا "فلورنسا ووجنوة والبندقية" مهيأة بموقعها ومركزها لاستقبال العلوم والفنون، فإن هذه المدن نفضت عنها أعباء العهد الإقطاعي كما سبقت الإشارة، وأصبحت مستقلة، لا سيد عليها غير القانون، وساعد الكفاح المستمر فيها على أعمال الفكر، وكثرت الثروة فيها بسبب اتساع تجارتها ووفرة صناعاتها، وانصرف طلاب العلم والفن إلى دراسة العلوم والآداب والفنون القديمة، ورأي الناس حولهم صوراً دقيقة الصنع، وأثاثاً فاخراً، وقصوراً شاهقة، فصرفوا المال لإشباع غاياتهم من الفن الجميل، وتخلص سكان هذه المدن من قيود العصور الوسطي. وقامت بهذه المدن حكومات مستنيرة قوية، وكانت أنظمة هذه الحكومات تشبه بوجه عام نظام الحكومات التي قامت أيام عظمة الحضارة الإغريقية القديمة، وكان من مميزات هذه الحكومات إشراك الشعب في سياستها، ومساندة أمرائها للفنون، فكان ذلك باعثاً

للأدباء وأهل الفنون على النبوغ والإبداع ، ثم أخذت كل مدينة تنافس غيرها في عمل واقتناء أنفس الكتب وإبداع الصور، وتشييد أفخر المباني والمعاهد والكنائس.

٢-مركز إيطاليا الجغرافي :

إن وقوع إيطاليا في مركز متوسط على ساحل البحر المتوسط في عصر كان فيه هذا البحر مركز تجارة العالم، اكسبها أهمية لا تقدر، وقد أصبحت حلقة الاتصال بين أوروبا، وبلاد شرق البحر المتوسط، والشرق الأقصى، فاتسعت تجارتها ونمت صناعاتها، فكثر ثراء مدنها، كالبندقية وجنوة وفلورنسا وميلان، والثراء يولد الرغبة في الحرية، ويمهد السبيل للإشتغال بدراسة الفنون والعلوم والآداب. ونعرف أن الحضارة الإسلامية كانت مزدهرة أثناء العصور الوسطي، وأنها أسهمت بنصيب وافر في ميادين العلوم والفكر والإنشاءات والطب والفلك وعلوم البحر، وكانت مراكز الحضارة الإسلامية موجودة في كل مكان، وكان أقربها إلى أوربا يتمثل في جامعات الأندلس في الغرب، وصقلية وتونس في الوسط. وكانت إيطاليا بفضل موقعها قريبة من أقاليم الدولة البيزنطية.

٣-الحضارة الرومانية القديمة:

ولما كانت إيطاليا مهد الحضارة الرومانية القديمة، فقد ساعد ذلك على أن تكون أسبق الدول إلى الدخول في ميدان النهضة، فقد كانت ذات الكنوز الدفينة في العلوم والآداب والنقش والتصوير والآثار والمسكوكات فجعل الإيطاليين على اتصال وثيق بآداب الرومأن وفنونهم وقوانينهم، فتأثروا بذلك، وتطلعوا ليكونوا ورثة أجدادهم الورمان، في إحياء مجدهم الذي أتت عليه الأيام.

٤ – مقر البابوية:

كانت روما قِبلة العالم المسيحي الغربي، الأمر الذي كان يثير اعتزاز الإيطاليين بها، وكانت الكنيسة من القوي المضادة للتقدم والتطور، ولكن نزولاً إلى ميدان السياسة العلمانية والتوسع الإقليمي كإمارة ودولة، وصراعها مع الإمبراطورية، أدى بالتالي إلى ضعفها، وزاد من هذا الضعف انتشار الفساد فيها، الأمر الذي سهل مهاجمتها، ولقد أثرت الكنيسة من مواردها المالية من كل أوربا، وأخذ بعض البابوات المستنيرين ينفقون على نشر العلم وإنشاء المكتبات وجمع المخطوطات واقتناء

الكتب وبناء الأكاديميات، وجمع القطع الفنية ن والعمل على تجميل مدينة روما، وأخذوا ينافسون أمراء إيطاليا في رعاية العلوم والفنون والآداب، وكان العلماء والفنانون يقصدونهم واشتهروا في التاريخ باسم بابوات النهضة.

أهم مراكز النهضة في إيطاليا

عمت النهضة كل إيطاليا، ولكن فلورنسا وروما قد برزتا في هذا المضمار، فقد كانت فلورنسا تحت حكم " اَل مدتشي "، وكانوا أمراء ديمقراطيين، ذاع سيطهم في المقدرة الإدارية، وفي معاضدة العلوم والفنون، فبرع تحت رعايتهم "دوناتلو"، والذي أبدع في تمثيل حياة الناس وبخاصة الأطفال في تمثايل من المرمر والبرنز، وقد بلغ "جيبرتي" حد السحر في الحفر والباز، ومن مظاهر النهضة في فلورنسا قيام مدارس على النمط الذي دعا إليه " روسو" فيما بعد، من بغض الترف وحب البساطة، والجمع بين البنين والبنات في مدرسة واحدة، بقصد تخريج أناس مثقفين بدنياً وروحياً لا مجرد فلاسفة.

الفصل الثالث

الاستعمار الأوروبي/ الكشوف الجغرافية

العوامل التي أدت إلي الكشوف

١ –الحروب الصليبية:

كان من أثر الحملات الصليبية، أن اعتاد الأوربيون الأسفار وتحمل المشاق، واتسعت معلوماتهم عن الأرض، وما بها من أقطار مختلفة، وقد لعبت العوامل الدينية دوراً كبيراً في حركة الكشوف الجغرافية، كما لعبت دوراً كبيراً في تخطيط سياسة كل من البرتغال وإسبانيا أثناء حركة الكشوف، حيث تمتلكهم رغبته قوية في مطاردة المسلمين في غرب أفريقيا وتحويلهم إلى المسيحية، وتحويل أثيوبيا إلى المذهب الكاثوليكي وفصلها عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر.

وفي القرن الثالث عشر أخذ بعض الرحالة من الأوربيين يقومون برحلات طويلة في جهات الشرق، وأهمهم الرحالة " ماركو بولو" وهو من أهالي البندقية، قام برحلة مع أبيه وعمه إلى بلاد الصين، حيث قضي نحو من عشرين سنة، عاد بعدها إلى بلاده عام ١٢٩٥م، حاملاً الكثير من الأحجار الكريمة، حتى سماه مواطنوه "ماركو صاحب الملايين" هذا إلى ما أخذ بسرده لهم من قصص عن العجائب التي شاهدها بنفسه في بلاد الشرق الأقصي، حيث توجد ثروة لا تنفذ وعقدوا العزم على الحصول على جزء منها لأنفسهم.

٢ – العامل الاقتصادي:

كانت أوربا في حاجة شديدة إلى البهارات والتوابل التي كانت تستورد من الشرق والتي كانت تصل أوربا عن طريق الخليج العربي والبحر المتوسط، والبحر الأحمر ثم دمشق والقاهرة، وإلى أوربا عن طريق المدن الإيطالية، وقد فكر الأوربيين في ايجاد طريق آخر يصلون من خلاله إلى الشرق وبالتالي إنهاء عملية الإحتكار هذه التجارة من قبل المماليك في مصر والبندقية، من المؤكد أن العوامل الاقتصادية قد لعبت

دوراً مهما في دفع حركة الكشوف الجغرافية إلى الأمام. ومن المعروف أن الدافع الأساسي لهنري الملاح في جهوده الإستكشافية هو العامل الاقتصادي بجانب العامل الديني، فقد كان مؤمناً بامكان الطواف حول أفريقيا والوصول إلى الهند عن هذا الطريق، وبالتالي الحصول على الأرباح الطائلة التي تستأثر بها مدن إيطاليا البحرية لاحتكارها التجارة مع الشرق.

☒ حركة الكشوف البرتغالية

كانت البرتغال أول دولة أوربية بدأت حركة الكشوف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية الأمير البرتغالى المعروف "هنري الملاح"، وكان هنري ملماً بالجغرافيا والرياضيات التي عرفت أنذاك، كما كان مسيحياً متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الأفريقية، وقد قاد هنري حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية، كما كان رئيساً لهيئة اليسوعيين "الجزويت" وبالتالي كان يهمه العمل على كسب أراضي وميادين جديدة للمسيحية، وقد أمضي نحو أربعين عاماً في إعداد الحملات الإستكشافية وإرسالها إلى شواطئ أفريقيا الغربية، حتى تم كشف بعض الجزر المهمة في المحيط الأطلسي مثل جزيرة "ماديرا" فى عام ١٤٢٠م، وجزر كاناري وجزر أزور فى عام ١٤٣١م، هذا زيادة على بعض المراكز على شاطئ أفريقيا مثل "الرأس الأبيض" عام ١٤٤١م، و"الرأس الأخضر" عام ١٤٤٦م، وبذلك حقق هنري غرضه في الوصول إلى بلاد غانا، وعلى وجه العموم فإن طبيعة الاستعمار التجارية البرتغالية أنعكست على قصر اهتماماته على الأشرطة الساحلية مثل (ساحل غانا وساحل الذهب وساحل العاج وساحل الزنج وساحل مالأبار.....الخ).

وبدأت تجارة رابحة بين بلاد غانا وبين البرتغال، إذا بدأ التجار والملاحون يقتنصون العبيد من تلك الجهات وينقلونهم إلى أسواق أوربا، وحنوا من هذه التجارة ربحاً وفيراً أغري الكثير من التجار بالمغامرة والقيام برحلات متوالية إلى جهات أفريقيا الغربية، ساعدت على التوسع في حركة الكشف، وكانت موضع تشجيع الأمير هنري حتى مات عام ١٤٦٠م، وقد أثرت وفاة الأمير هنري الملاح في حركة الكشف الجغرافي، ولكنها لم تتوقف هذه الحركة بعد أن أثبتت التجارب للبرتغاليين أن أفريقيا تهيئ لهم مورداً غنياً بالرقيق في وقت وجد البرتغاليون في تجارة الرقيق بالذات مصدراً هاماً للثروة، حتى أن هنري الملاح يعتبر مؤسس هذه التجارة في أوربا.

ومن خلال الفترة من (١٤٧٠-١٤٨٢)م تم اكتشاف الجزء المتبقي من ساحل غانا، كما أن البرتغاليين في عام ١٤٧٥م وصلوا إلى رأس كاثرين وفي عام ١٤٨٢م استطاع " ديجو كام أن يحمل النفوذ البرتغالى إلى مصب نهر الكنغو فوصل إلى "رأس سانت ماري". وفي عام ١٤٨٧م كانت رحلة " بارثولوميو دياز" التي كان الغرض منها الوصول للهند وايجاد مملكة القس بريسترجون التي قيل أنها تبعد قليلاً عن الساحل الغربي لأفريقيا كما كان يهدف للوصول إلى بلاد الطرف الجنوبي لقارة أفريقيا، وقد نجح في مهمته، ثم عاد إلى بلاده يحمل أكاليل النصر، ونظراً لما قاساه من هول الزوابع عند طرف القارة، أُطلق عليه "رأس الزوابع" وذلك بسبب العواصف الشديدة التي صادفها حولها، دياز أن ساحل القارة ينحرف في اتجاه الشمال الشرقي فعاد أدراجه إلى لشبونة، ولكن ملك البرتغال عندما أيقن أنه حقيقة الطرف الجنوبي للقارة وأن هذا الكشف يشير إلى الوصول إلى الهند، سماه "رأس الرجاء الصالح".

☒ حركة الكشوف الإسبانية

إذا كان اكتشاف أمريكا الشمالية قد ارتبط باسم كولومبوس فإن معرفة أمريكا اللاتينية التصق باسم الرحالة الفلورنسى "أمريجو فيسبوتشي" والذي لعب دوراً كبيراً في اكتشاف العالم الجديد، وعليه فقد أطلق اسم أمريكا على هذا العالم الجديد نسبة إليه، إذ أنه كان قد اصطحبه كولومبوس في إحدى رحلاته عام ١٤٩٩م، والذي كان من أوائل من وصل إلى القارة الأمريكية، وكان أول من نادى بأن الأرض الجديدة لم تكن آسيا فأصر "لوران دي مدسيس" على اطلاق اسمه على العالم الجديد، رغم أن الأوربيون ظلوا لمدة طويلة يسمون العالم الجديد باسم الهند.

ويعتبر كولومبوس رائد حركة الكشوف الإسبانية، والذي كان من إيطاليا من جنوة، درس الجغرافيا والرياضيات والفلك، بل وكان شاعراً ومسيحياً وواقعياً في نفس الوقت؛ كان شاعراً لأنه تأثر بالكتابات والروايات المنتشرة في عصره، ومسيحياً لأنه كان مستعد للقيام بحملة صليبية جديدة، وأما واقعياً لأنه اعتقد في أن الأرض كروية، وأنه يمكنه أن يجد في الغرب، ما قام أجداده بالبحث عنه الشرق.

وكانت الفكرة السائدة لدي الكثيرين في ذلك الوقت، أن الأرض منبسطة وليست كروية كما كان يعتقد، ولهذا أخذ هؤلاء ينبهونه على تهوره ويضحكون منه لجنونه، لكنه لم يعبأ بهم، وقد طلع لسامعيه بفكرة جديدة جريئة من الوصول إلى شرق آسيا

وبلاد الهند وبالسير غرباً عبر المحيط الأطلنطي، لا بالسير شرقاً أو جنوباً، لم يعبأ بالخرافات السائدة آنذاك عن هذا المحيط وما فيه من أجنة وشياطين ونيران، وكان هذا العمل يحتاج إلى المال والرجال، وليس لديه من ذلك شئ، فعرض مشروعة على ملوك أوربا وأمرائها الذين رفضوا تمويل مثل هذا المشروع، فأرسل أخاه لعرض المشروع على هنري السابع عام ١٤٨٥م ملك انجلترا فتردد، فعرض المشروع على "فريديناند وإيزابيلا" ملكي إسبانيا فقبلا مساعدته رغم نصائح رجال الدين وكبار رجال الدولة برفض مشروعه وعقدا معه معاهدة وأنعما عليه برتبة أدميرال أعظم على كافة البحار والجزر والقارات التي يكتشفها، على أن تؤول هذه الممتلكات لأولاده من بعده.

وجهز كولمبس ثلاث سفن عليها تسعون بحاراً وثلاثون مسافراً بينهم طبيب وجراح ومترجم وموثق، وأقلع بها من "بالوس" جنوب جزائر كناريا، ثم إلى عرض البحر "المحيط" دون أن يعلم أنه بدأ حركة للاستعمار في تاريخ العالم، واستمرت الرحلة نحو ٧٠يوماً، حاول فيها مساعده أن يحاول اتجاه السير قليلاً إلى الجنوب، بدلاً من مواصلة السير صوب الغرب، ولولا هذا التغيير لوصل كولمبس إلى فلوريدا، ولأصبحت الولايات المتحدة مستعمرة إسبانية، ولكن وصل إلى إحدى جزر البهاما في شمال كوبا، وعندما نزل كولمبس إلى الشاطئ ركع وقبل الأرض وحمد الله، ثم أشهر سيفه ورفع علم قشتالة، وأمر الموثق بتحرير وثيقة للاستيلاء على هذه الأرض باسم فرديناند وإيزابيلا في عام ١٤٩٢م.

عاد كولمبس إلى إسبانيا ليعلن في البلاد وأمام كبار رجال المملكة اكتشافه الجديد، ثم قام كولمبس برحلته الثانية في ١٤٩٣م وكان هذه المرة أحسن تجهيزاً وأكثر عدداً، فتألفت حملته من سبع عشرة سفينة عليها ١٥٠٠ رجلاً، فتوجهوا إلى جزر الأنتيل أولاً ثم توجه إلى هايتي ليكتشف أن السكان قد قضوا على الإسبان الذين أبقاهم في المستعمرة في المرة السابقة فأقام مستعمرة أخرى جديدة بدلاً منها.

أما عن غزو الإسبان لأمريكا واستعمارها فقد تمثل في فتح المكسيك وبيرو موطن الإمبراطوريتين (الأزاتكة والأنكا) فقد سمع الغزاة الإسبان عن بلاد يكثر فيها الذهب والفضة فعهدوا إلى حملة بقيادة "فرديناند كورتيرز"(١٤٨٥ -١٥٤٧)م فتح هذه البلاد التي يطلق عليها الآن اسم المكسيك وكانت تعيش بها قبائل بعض بقايا جيش

بشري تُطهي في قدر على النار، وأُسند في ذلك إلى أن الهنود الحمر كانوا يأكلون لحم البشر، في نفس الوقت الذي يأكلون فيه لحوم الببغاوات.

☒ رحلة ماجلان

كان ماجلان من أصل برتغالى، شارك في بعض الرحلات الكشفية البرتغالية، وكانت رحلته الشهيرة حول العالم هي التي جلبت له الشهرة، وهي قام بها لحساب الإسبان بعد أن عارضه ملك البرتغال في تنفيذ فكرته القائلة بإمكانية الوصول إلى الشرق حيث توابل والخيرات عن طريق الإلتفاف حول أفريقيا، وهو طريق الإتجاه غرباً عبر المحيط الأطلسي ثم الإلتفاف حول أمريكا الجنوبية، وحينما عرض ماجلان فكرته هذه على ملك إسبانيا رحب حيث أنها ستحقق له هدفه في الوصول إلى منطقة التوابل دون حدوث سوء تفاهم بينه وبيين البرتغال إذا سلك نفس طريقهم إلى الشرق، وتحمس ماجلان وزميله الذي كان يمثل العقل المفكر لماجلان وهو "روي دي فالييروا" ولم يكن حماسهما لتنفيذ فكرتهما فحسب بل للرد على إهانة البلاط البرتغالى لكليهما وأعراضه عن أفكارهما، وجهز لهما الملك شارل الأول خمس سفن بالرجال والسلاح والعتاد، وأقلعت السفن الخمس بقيادتهما في أغسطس ١٥١٩م.

بعد وصول ماجلان إلى سواحل أمريكا الجنوبية تعرض لمحاولة اغتيال من قبل قادة السفن الذين كانوا يحقدون عليه، ولكنه نجا منها وقتل اثنين منهم وترك الآخرين على الساحل، ثم سار جنوباً بمحاذاة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية حتى وصل إلى نهايتها الجنوبية، ووجد مضيقاً عرف فيما بعد بـ "مضيق ماجلان"، فعبره إلى المحيط الهادى وقد سماه بالهادى لخلوه من الزوابع التي تكثر في المحيط الأطلسي، ثم واصل سيره بالمحيط نحو من ثلاثة أشهر لاقي فيها كثير من المتاعب، وفي مارس ١٥٢١م وصل إلى مجموعة الجزر التي عرفت فيما بعد باسم الفلبين نسبة إلى فيليب ابن الإمبراطور، وبعد أن نجحت في ضم بعضها إلى إسبانيا لقي مصرعه نتيجة تدخله في المشاكل الداخلية لهذه الجزر.

☒ حركة الكشوف الانجليزية والفرنسية

كان من نتائج هذه الكشوف التي ذكرناها، أن قلت أهمية البحر المتوسط وبالتالي أهمية مصر والبندقية وغيرهما، وأصبح المحيط الأطلنطي مركزاً للتجارة بين أوربا وأمريكا وصارت البلاد الواقعة عليه في وسط العالم التجاري، بعد أن كانت على حافته القصوي وأحست انجلترا وفرنسا وهولندا أنها لاتقل في الامتياز عن البرتغال وإسبانيا، فسعت إلى نيل نصيب من تلك الغنائم.

فأرسل الملك هنري السابع ملك انجلترا ومؤسس أسرة التيودور سنة ١٤٩٦م " جون كابوت" للوصول إلى الهند من طريق الشمال الغربي فكشف "لبرادور" ثم كشف أكبر أبنائه جزيرة "نيو فوند لاند" وتقع على قرب شاطئ فلوريدا واستعمرت انجلترا بعد ذلك الجهات المعروفة الآن باسم الولايات المتحدة الأمريكية، وفي السنة التالية قام كابوت برحلة ثانية اكتشف فيها الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية وقد نتج عن ذلك تمهيد الطريق لاستعمار انجلترا لجزء كبير من العالم الجديد، كما تمكن الانجليز أيضاً من التقدم من خليج هدسن إلى داخل القارة فوصلوا إلى جبال روكي والمحيط المتجمد الشمالي.

أما بالنسبة لفرجينيا؛ فقد أرسل "سير والتر رالى" بتصريح خاص، أما "داس" و"بارلو" فنزلا بجزيرة رونوق عام ١٥٨٤م، وأطلقا على الإقليم اسم "فرجينيا"، وقد أرسلت سفن تحمل المؤن عام ١٥٨٦م ولكنها وجدت المستعمرة مهجورة، إذ كان "دريك" قد عاد بالمستعمرين إلى انجلترا، وأرسلت طائفة أخرى من المستعمرين بقيادة الحاكم جون هوايت، وعند عودته عام ١٥٩١م لم يجد هوايت سوي اطلال المستعمرة وخرائبها، وشهدت الفترة من عام ١٦٠٢م إلى ١٦٠٤م تنظيم عدد من الرحلات إلى أمريكا كان الأحوالها تلك التي قام بها جورج وايموث عام ١٦٠٤م، وقد توجه وايموث لرؤية ساحل نيو انجلاند وتضمن تقريره المرضي مايثير الرغبة في تأسيس مزيد من المستعمرات .

أما بالنسبة لفرنسا فقد دخلت ميدان الكشوف الجغرافية متأخرة بعض الوقت عن البرتغال وإسبانيا وانجلترا، حيث وصل جماعة من صائدي الأسماك من نورماندیا وبريتاني إلى سواحل نيو فوندلاند في حوالي عام ١٥٠٠م، وهناك أخبار تفتقر إلى اثبات عن محأولات لارتياد خليج سانت لورانس في عامي ١٥١٨م، ويحتمل أن

يكون جيوفاني دي فيراتزاني الذي أرسله فرنسيس الأول ملك فرنسا قد كشف الساحل الأمريكي من "كيب فير" حتى نيو فوندلاند.

أرسل فرنسوا الأول ملك فرنسا "جاك كارتيه" قصد الذهاب إلى الهند بالطريق الشمالي الغربي فكشف مصب نهر سنت لورانس سنة ١٥٣٤م، وتلا ذلك استعمار الفرنسيين كندا وحوض نهر مسيسي، مما أدى إلى الإصطدام مع الانجليز سنة ١٧٥٤م، عموماً أن حركة الكشوف الفرنسية في العالم الجديد قد أدت إلى تنافس استعماري في أمريكا الشمالية مع الانجليز من أجل السيطرة والسيادة في العالم الجديد.وحاول ماركيزدي لاروس سنة ١٥٩٨م أن يؤسس مستعمرة في جزيرة سابل، وتم انقاذ الإحياء منهم بعد انقضاء خمس سنوات، وبعد أن منح "بنتجرافيه" و"شوقان"، و "دي مونت" في عام ١٦٠٠م حق احتكار تجارة الفراء، قاموا بمحاولة فاشلة أخرى للاستعمار وكان هدفهم في هذه المرة "تادوساك" عند "سانت لورانس السفلي"، وارتاد "بونتجرافيه" بصحبة "صمويل دي شمبلين" علاوة على ذلك الساحل الأكيدي، وفي السنوات الثلاث التالية، نظم "دي مونت" و "شمبلين" مكاناً للاستيطان في مدينة "سانت كروا"، ولكنهما انتقلا بعد فترة إلى "بورت رويال"، ثم تابع "شمبلين" رحلته على ساحل "نيو انجلاند" حتى "رأس كود" وعاد إلى فرنسا عام ١٦٠٧م.

☒ نتائج الكشوف الجغرافية

كان البحر المتوسط طريق التجارة في العصور الوسطي ومركز النشاط االسياسي، وبعد هذه الكشوف انتقل ذلك المركز إلى المحيط الأطلنطي الذي أصبح طريق التجارة العالمية في العصر الحديث وانتقل مستقبل أوربا التجاري من مدن البحر المتوسط كالبندقية وجنوة إلى مدن الغرب والشمال إلى البرتغال وإسبانيا، ثم إلى هولندا وانجلترا التي كانت تقع على الطرق الغربي للدنيا القديمة، وأصبحت في قلب الدنيا بعد الكشوف الجديدة عرفت هذه الحركة الاقتصادية في التاريخ باسم "الثورة التجارية" **"The Commercial Revolution"**

تكونت إمبراطورية إسبانية وأخرى برتغالية وفتح باب الاستعمار أمام الدول الأخرى التي لم يلبث أن دخلت الميدان لتأخذ بنصيب من الأملاك الجديدة ودعا هذا التنافس في البحار حتى أصبحت الأساطيل البحرية من الأحوال عوامل التغلب والانتصار، كذلك سادت بين الدول نظرية استغلال المستعمرات لصالح مما أدى إلى تذمر

السكان وثورتهم في النهاية طلباً لدفع نير الاستعمار الذي كان فاتحة لسيل من الهجرة من أوربا إلى ذلك الإصقاع.

عمل الإسبان والبرتغاليون على نشر الدين المسحي والمذهب الكاثوليكي بين أهالي المسكيك وأمريكا الجنوبية، حيث وجدوا في ذلك أكبر تعويض للكنيسة الكاثوليكية عن نفوذها الذي ضاع في كثير من جهات أوربا، على أثر انتشار البروتستانتية في كثير من جهاتها بعد ظهور حركة الإصلاح الديني. ازدهرت كمية المعادن الثمينة ولاسيما الذهب والفضة واتخذت طريقها إلى أوربا فحل النقد محل المبادلة في البيع والشراء وانخفضت قيمة العملة وارتفعت الأجور وأثمان السلع وتحسنت الحالة الاقتصادية في أوربا نتيجة لازدياد النشاط التجاري وإنشاء الصناعات الجديدة وزيادة رؤوس الأموال. أخذت المحصولات الجديدة ترد إلى أوربا كالذرة والبطاطس والكاكاو والكينا والتبغ، وأصبحت عاملاً مهما يلعب دوره في الحياة الاقتصادية، كما اضحت من الضروريات بعد أن كانت من الكماليات. زادت أهمية علم الجغرافية، واتسع ميدان البحوث الجغرافية وتغيرت أفكار أهالي أوربا عن الأرض وحجمها وشكلها، ومن فيها وما فيها، كما لفتت هذه الكشوف الأنظار إلى ضرورة تحسين بناء سفن، ووسائل إرشاد الملاحين حتى يقبلوا على الأسفار والتجوال في البحار، وهكذا أقبل الناس على البحث العلمي والتفكير الحر دون الاعتماد على الآراء القديمة التي كانت سائدة أو التقيد بأفكار العصور الوسطي.

كذلك اتسع ميدان علم التاريخ، فبعد أن كان مقصوراً في العصور الوسطي على عالم ضيق الأرجاء وهو المعروف في ذلك الوقت أصبح المجال أمامه واسعاً باتساع رقعة الراضي المعروفة على سطح لكرة الأرضية نتيجة للكشوف الجغرافية. قاسي سكان البلاد الأَصليين من المستعمرين فكان هذا الاتصال كارثة عظمي عليهم وخاصة في أمريكا الشمالية، حيث كان يعيش الهنود الحمر، حيث قضت على الكثير منهم الحروب، والأوبئة ومن بقي منهم عاش في معزل عن المستعمرين، وأخذ عددهم في التضاؤل حتى لم يبق منهم الآن إلا عدد قليل في غرب الولايات المتحدة وكندا غير أن الحالة كانت أخف وطأة في أمريكا الجنوبية، إذ بعد هدوء الزوبعة الأولي زوبعة الفتح والتملك، وأخذ السكان الأصليون يختلطون بالإسبان والبرتغال وتعلموا لغتهم واعتنقوا دينهم، ومن خلال الإمتزاج نشأ الجيل الحاضر بعكس ما

حدث في أمريكا الشمالية.تحولت الثروة من طبقة ملاك الأرض إلى طبقة جديدة وهي طبقة التجار، وسيكون لانتعاش الطبقة البرجوازية التجارية دور مهم فيتطور نظم الحكم في العصر الحديث، وسياسياً قد نتج عن حركة الكشوف نشأة الاستعمار وازدياد تنافس الدول الأوربية على السيطرة في العالم الجديد وآسيا وأفريقيا.

الفصل الرابع
الإصلاح الديني البروتستانتي

ظلت الكنيسة صاحبة الكلمة العليا في أوربا طوال العصور الوسطي فكان لها المنزلة الأولي في جميع شئون الحياة، ففي عالم السياسة كان رجالها يشغلون أرقى والأحوال المناصب في الحكومات المختلفة، وكانت بأيديهم شئون التعليم، ومنهم المؤلفون والكتاب، ناهيك عما كان للبابا من السيطرة على السطلة السياسية، وما كان يدعيه من حق السيادة على الأباطرة والملوك، وقد بلغت البابوية منتهي قوتها في عهد "جريجوري السابع و"أنسنت الثالث" حتى قال الأخير أنه لا خلاص للإنسان في العالم ما لم يخضع للبابا، فأنا قيصر وأنا الإمبراطور الحقيقي، صاحب السيادة على جميع أمراء الأرض، وفضلاً عن هذا فقد طالبت البابوية بالخضوع المباشر للحكام الزمنيين الذين حددوا أهدافها، فلم تتردد جملة مرات من تجريد الإمبراطور المشاكس فردريك الثاني من نفوذه وحرمانه من رعاية الكنيسة، وطالب البابوات بسلطات تشريعية وقضائية أوسع لتطبيقها على المسيحين، وأيضاً على الكفار، وأصدر البابا جريجوري التاسع أول تشريع رسمي للقانون البابوي للتأكد من تيسر إدارة ممتلكاته. وفي بداية القرن الرابع عشر ظهر ضعف البابوية وحركة الانقسام الكبري في الكنيسة الغربية، مع انتخاب بابا في روما أو في سويسرا أو إسبانيا أو غيرها، وكذلك قيام حركة المجالس الدينية للإصلاح من شأن الكنيسة البابوية والعودة بها إلى مجدها القديم، واتجهت أذهان الناس نحو الانشقاق على البابوية، أدى إلى قيام ثورة لوثر في ألمانيا، وثورة كلفن في سويسرا.

العوامل التي ساعدت على قيام حركة الإصلاح الديني

١ –فساد الكنيسة:

كانت الكنيسة تهتم بظواهر الدين دون لبه، فكان الناس يعتنون باقتناء مخلفات القديسين والرسل والحج إلى مدافن القديسين، وتعذيب أجسادهم وبتلاوة الأدعية اللاتينية المغلوطة التي لايفقهون لها معني، ويحرصون على طاعة عمياء، بينما

كان أثر هؤلاء يعيشون عيشة البذخ والترف والفساد، فكان البابوات يتحايلون على اصطياد الأموال بكل الوسائل فأصبحت الوظائف الدينية تباع بالمال دون النظر إلى مؤهلات الشخص المشتري لها وتهافت رجال الدين على الحياة الدنيا، وجمع الثروة لهم بوسائل مختلفة فضلاً عن استحواذهم على المناصب الهامة في الدولة وكان البابا وحاشيته يتنعمون في روما تنعماً اَثار الشكوك في أحقبة خلافاتهم لرسل المسيحية الأول، فلما جاءت النهضة تشجعت الناس على حرية النقد ومضي العهد الذي كان فيه القسيس مطاعاً من غير مناقشة.

لم يكن مارتن لوثر الوحيد الذي وجه نقداً للكنيسة، ففي القرن الثالث شبه الكاردينال "بونا فينتورا" مدينة روما بالعاهرة، وقال أنها كالعاهرة تسكر الملوك والشعوب بخمرها، وأضاف أن روما تفسد الرؤوس الكبري للكنيسة، وهؤلاء يفسدون صغار الكنيسة، وهؤلاء بدورهم يفسدون الشعب، ولا يجب أن ننسي دانتي الذي جعل في كل درجة من درجات جهنم فئة من رجال الكنيسة ومساؤتهم، وسأل "البابا هادريان الرابع جون" من سالزوبوري عما يقوله الناس عن حقيقة الكنيسة ومساوئهم، فأجابه هذا بصراحة: "أنهم يقولون أنها أقرب لزوجة الأب منها للأم وأن البابا لا يطاق".

وكان رأي ألفاروبيلايو– وكان مستشاراً لبابا أفينيون – أن الكنيسة أعطت القدوة السيئة للناس، وأن الناس عندما رأوها بهذا القدر من الفساد كان رأيهم: ولم لأنكون نحن كذلك أيضاً"، كما قرر ميكافللي قاعدة أنه " كلما كان الشعب أكثر قرباً من الكنيسة الرومانية قل دينه وتدينه"، وكتبت الأميرة كاتارينا للبابا جريجوري الحادي عشر "أنني لا أجهد نفسي في البحث عن مقر البلاط البابوي فرائحته النتنة تصلني أينما كنت".

وعلق "الكاردينال اليسوعي بيلارمين" على أحوال البابوية بأنها كادت تقضي على المسيحية، وكان مفتاح فساد البابوية الرئيسي هو السلطة، فعندما استشري فساد الكنيسة تم عقد مؤتمر ترنت ١٥٤٥م لإصلاح الكنيسة ولكن كان الأوان قد فات، فبدلاً من أن يحل هذا المؤتمر خلافات الكنيسة، أظهر مدي الإنشقاق فيها، واعتبر لذلك مبرزاً لعيوب البابوية في ذلك الحين.والغريب في ذلك الوقت أن لوثر أثر عدم ترك الكنيسة حتى اهتدي إلى فكرة أن مسيحية منقسمة هي بلا شك أفضل من مسيحية يرأسها بابا يعمل ضد تعاليمها، وأن يسترشد بالإنجيل رأساً أفضل من أن

يقوده بابا فاسد الذمة، وحتى اليوم يختلف المسيحيون حول جدوي الخطوة التي اتخذها لوثر، وبذلك كان حكم لوثر ودانتي واحداً: "أن مشكلة الكنيسة تكمن في حب باباواتها للسلطة.

٢-روح الانتقاد:

ظهرت هذه الروح على أثر حركة إحياء العلوم، وتناولت كل الأنظمة التي اعتادها الإنسان، وفي مقدمتها الأنظمة الدينية، فسلط المفكرون على نظام الكنيسة نور العقل والمنطق والحكمة، فزاغ الناس في الجنوب ونبذوا الدين ظاهرياً، أما في الشمال فإن الناس لم يكونوا أهل عواطف وشعور، بل هم على الأكثر أهل رزانة وتعقل وتدين، فانكبوا على كتب الفلسفة، وعلى دراسة كتب الديانة الأولي، بلغتها الأصلية العبرية واليونانية واللاتينية، ولما لم يكن لأهل الشمال مدينة قديمة كأهل الجنوب، ولما كان كل ما أخذوه من المدينة جاء عن طريق الكنيسة دفعتهم النهضة إلى الإهتمام بمصدر مدينتهم وهو الكنيسة، فنقبوا عن الأصول الدينية وكتب القديسين الأوائل، وترجموا الإنجيل من اللاتينية إلى الألمانية، ولما وقفوا على حقائق دينهم، وقرنوا ذلك بما وصلت إليه الكنيسة من الانحطاط، ثارت حميمتهم يبغون إصلاحها وظهرت رغبة في خلق نوع آخر من المسيحية أبسط وأكثر روحانية، وقد ساهم نمو الشعور القومي في هذه الفترة في دفع الصراع ضد الكنيسة كمؤسسة عالمية إلى الأمام، وهذا يعني أن حركة الإصلاح الديني قد تزامنت مع مد القومية الصاعدة، عموماً أن الحواجز القديمة قد انهارت وعمت أوربا روح من التنوير والفكر التقدمي الذي كان متوهجاً تحت رماد المعرفة التقليدية.

٣-تشجيع الأمراء:

ما ساعد على نجاح حركة الإصلاح الديني، رغبته الأمراء في التخلص من تدخل الكنيسة والبابا، فقد كان لهما الحق في تعيين الرؤساء الدينيين، والتدخل مباشرة في الأحوال الشخصية، وجباية الأعشار من الممالك المختلفة وكانت أراضي الكنيسة في جميع أنحاء أوربا معفاة من دفع الضرائب، وكانت إيرادتها ترسل إلى البابوية طرفاً فيها، إلى هذا الجانب أو ذاك، على الملوك والأمراء خاصة من دخلت البابوية في محالفات سياسية ضدهم إلى محاولة السيطرة على هذه الأراضي والسيطرة على إيراداتها، خاصة وأن اتساع هذه الممتلكات العقارية التابعة للبابوية وجودتها

وثرائها، كان يسيل لعاب الملوك والأمراء الأوربيين، وكانت حياة البابوات قد تحولت إلى حياة أمراء، وأصبح للبعض منهم أبناء غير شرعيين، وأصبح لآخرين محظيات، وبشكل يضيف من هيبة الكرسي البابوي. وقد كانت وطأة تدخل الكنيسة أشد ما يكون في ألمانيا، لعدم وجود حكومة مركزية قوية تقاوم النفوذ الأجنبى، كما كان الشأن في انجلترا وفرنسا، فلا عجب إذا دفع أمراء ألمانيا بأنفسهم في تيار الإصلاح ومعاضدة لوثر، حتى يستكملوا استقلالهم، ويمد سلطانهم على رجال الدين، وعلى كافة الأراضي الداخلة في نطاق حكمهم بالإضافة إلى سيطرتهم على الأموال العامة.

٤ –صكوك الغفران:

أما السبب المباشر الذي ستعد حركة الإصلاح الديني فيرجع إلى بيع الكنيسة صكوك، والغفران كما عرفه "توماس أكويناس"–وهو من كبار مفكري الكنيسة في العصور الوسطي–، يقوم أساساً على قواعد ثلاث وهى: الندم والإعتراف والتفكير وهو الذي يكون بالصلاة والصوم والزكاة معني ذلك أن الغفران لا يتم إلا إذا مر بالمراحل الثلاثة السابقة، وكان الغفران عبارة عن صك من الورق، يبذل فيه الوعد للمذنب – لقاء قدر من المال– بانقاص المدة التي سوف يمكثها في "المطهر"، وكانت العقيدة قد أصابها الكثير من الجمود ولم يحاول البابوات تنقيتها من الشوائب، ورفع المستوي الفكري والديني لرجل الكنيسة، واحتاج البابوات إلى مزيد من الثروات، للمحافظة على بلاطهم وفخامته، وكذلك لبناء الكنائس الجديدة، ومنها كنيسة القديس بولس في روما، فأخذوا في اصدار صكوك الغفران، وكان توزيع هذه الصكوك عن طريق المصارف في جميع أنحاء أوربا أمراً مثيراً للنقد، كما كان توزيعها على الأهالي باسم غفران كل الذنوب، وحتى أكبر الكبائر يثير النفوس المؤمنة، ويحتم ضرورة الإصلاح.

كانت ألمانيا من أكثر البلاد معاناة من مساوئ الكنيسة، فعلى سبيل المثال كانت أملاك الكنيسة كبيرة في جميع البلاد المسيحية، لكن في ألمانيا وصلت أملاك الكنيسة إلى نصف الممتلكات الألمانية جميعاً، وكانت الشرارة البادئة لمشاكل ألمانيا هي رغبة الأمير ألبرت في الاحتفاظ بكنيستي ماجدة بورج وهالبرج اشتاد– اللتين كان يرأسهما بالفعل – بجانب أطماعه الجديدة في كنيسة ماينس(وكانت كنيسة ألمانية رئيسية) وهو ما كان يخالف قوانين الكنيسة، وكان ألبرت على استعداد بدفع

ثمن هذا المنصب، وكان "البابا ليو" في حاجة للمال لتجديد كنيسة القديس بطرس، ولأن ألبرت لم يكن يملك السيولة الكافية لدفع المقابل نقداً فإن "البابا ليو" سمح له بقرض كبير بسعر فائدة عال فوق العادة، وكانت المشكلة هي كيف يرد الأمير ألبرت هذا الدين؟، لقد سمح "البابا ليون" للأمير ببيع صكوك الغفران لمدة ثماني سنوات، بحيث يعود نصف عائدها للبنوك والنصف الآخر للبابا لأَصلاح كنيسة القديس بطرس، وتم تعيين القس تتسل في مهمة التسويق لتلك الصكوك، وكان ممكنًا لتتسل أن يستمر في هذه المهمة لولا ظهور مارتن لوثر الذي لم يعجبه هذه الأحوال. ظهور بعض المصلحين الدينيين؛ أمثال: مارتن لوثر، زونجل،كلفن.

☒ مارتن هانس لوثر

ولد مارتن لوثر في عام ١٤٨٣م بإحدى قرى إمارة سكسونيا التابعة لألمانيا من أبوين فقيرين، ولكنه أتم تعليمه الجامعي، ثم دخل ديراً تابعاً لطائفة القديس أوغسطين سنة ١٥٠٥م، وأتيحت له في سنة ١٥١١م فرصة زيارة روما، ولكنه صدم لما رآَه فيها من حياة التبذل وانهيار القيم الأخلاقية، وابتعاد حياة رجال الدين عن تعاليم المسيحية وشغل يعد عودته لبلاده منصب أستاذ اللاهوت في جامعة وتنبرج سنة ١٥١٢م، ونجح في التدريس والوعظ.

صُدِم مارتن لوثر حين جاء أحد الرهبان إلى المدينة فى عام ١٥١٧م ليبيع صكوك الغفران وكان جاهلاً، وأدعي أنها كافية لتخليص من يشتريها من كل ما ارتكب من اَثام وخطايا، وحتى أكبر الكبائر، ولما كان الغفران لا يتم إلا بناء على توبة واعتراف وتكفير، بالإشتراك في الحروب الصليبية وفي الحج إلى روما وزيارة قبور القديسين، ثم نسي بعض رجال الكنيسة التوبة والإعتراف، وأصبح التكفير يعني شراء صكوك الغفران وكان الغفران منحة إلهية، ونسي البابوات ذلك وأصبحوا يضمنونه لمن يشتري الصكوك، فثارت نفس مارتن لوثر، وانتهز فرصة اجتماع أهالي "وتنبرج" بمناسبة عيد الشهداء، وبمناسبة تدشين "كنيسة الأمير ألبرت" وعلق على بابها احتجاجاً على بيع صكوك الغفران يشتمل على خمسة وتسعين فقرة، هاجم فيها الكنيسة الكاثوليكية، ونظرتها إلى الغفران، وهاجم فيه سلطان الكنيسة وتعاليمها، واصر على ضرورة اتخاذ الكتاب المقدس وحده دستور لتفسير أي موضوع يختلف عليه في العقيدة[٢٣]، أي أن لوثر هاجم الغفران بقواعده الثلاثة التي أشرنا إليها، ثم

أخذ يبسط عقيدته في التبرير بالإيمان، وهي أن الغفران مربوط فقط برحمة الله. وتتلخص الحجج التي تضمنها احتجاجاته عام ١٥١٧ في الآتي:

١- أن الغفران لايعدو لأن يكون الاعتاق من العقوبات الكنيسة وليس الاعتاق مما فرضه الله.

٢- أن صك الغفران لايمكن أن يمحو ذنباً، لأن البابا لا يستطيع ذلك.

٣- أن صك الغفران لايمكن أن يخلص الإنسان من العقوبة.

٤- أن طريق المغفرة والصفح من الله، هو التوبة الصادقة وحدها.

ولم يمض أسبوعان على هذا الحادث حتى كانت قد ذاعت أنباء هذه الحجج وترجمت من اللاتينية إلى الألمانية، ولم يمض شهران حتى كانت أوربا بأسرها تناقش هذه الحجج التي وضعها الراهب السكسوني، على أن لوثر مضي خطوة أخرى، ففي مناقشة مع "يوحنا تتزل" ومع غيره من علماء اللاهوت واقدرهم" يوحنا ايك أستاذ اللاهوت بجامعة "أنجولشتات فقد لوثر نظام الكنيسة وسلطتها العليا، بل وتعاليمها كما وجه في سنة ١٥١٩م الدعوة إلى الأمراء وإلى الفرسان في ألمانيا لتزعم الإصلاح على الأسس الآتية:-

١- خضوع رجال الدين للسلطة المدنية.

٢- ليس من حق البابا وحده أن يحتكر تفسير الكتاب المقدس.

٣- ضرورة انقاص عدد الأديرة. وضرورة زواج القسس.

٤- عدم الحج إلى روما،

٥- الطلاق أمر شرعي (أباحة الطلاق بين المسيحين)

أدت هذه المناظرة إلى إعلان لوثر أن صكوك الغفران والبابوية كلها بدع مستحدثة، ولم تكن معروفة أيام الرسل الأولين، فلما علم البابا بذلك، لم يسعه إلا اصدار قرار البابا علناً، فطلب البابا إلى الإمبراطور شارل الخامس تنفيذ قرار الحرمان ضد لوثر، فدعاه شارل إلى الحضور أمام المجمع الألماني، وطلب إليه أن يرجع عن زيغه، فأبي إلا أن يقتنعوه بحجج من الكتاب المقدس، فحكم عليه بالطرد خارج القانون، واهدار دمه، وحرمت قراءة كتاباته، فحكم عليه بالطرد خارج القانون واهدار دمه،

وحرمت قراءة كتاباته، ولكن سلطة المجمع كانت ضيقة، وكان كل أمير حراً في تنفيذ قرارات المجمع واهمالها، ومن أجل هذا كان المهم رأي سكسونيا، الذي يعد لوثر من رعاياه.

بينما كان لوثر مهدداً بالقبض عليه في أية لحظة، حمله أصحابه إلى أحد حصون سكسونيا، في حماية أميرها، وفي مختبأ به عامين، وترجم في اثنائها الإنجيل من الإغريقية إلى اللغة الألمانية، فكان ذلك أول كتاب قيم طبع بهذه اللغة، ففتح لها عهدا من جيدأ، ومن ذلك الوقت سهل على الشعب أن يطلع على الكتابات الدينية بنفسه، وكثر أنصار لوثر فأن كل طبقة كانت تري مصلحتها في الإنضمام إليه، فكان الفلاحون يريدون التخلص من بقية قيود الإقطاع، والفرسان يريدون توسيع نفوذهم، والأمراء يرغبون في الاستيلاء على أملاك الكنيسة، ومهاجمة الأراضي التابعة لها سنة ١٥٢٣م، واستولوا على أراضيها وقسموا بعضها على صغار الفلاحين وأخيراً فإن "جامعة وتنبرج" منحت مارتن لوثر منبراً يشرح فيه فكرة عقيدته، وبشكل ساعد على انتشار هذا الإتجاه الجديد. ولقد ارتبط بحركة مارتن لوثر ثلاث حركات أخرى، مرتبطة بالفكر والعقيدة وبالسلطة وبالمصلحة، حتى المادية، وكانت كالآتي:-

١-حركة الآناباتبين (حركة المطالبون بإعادة التعميد)

ظهر هذه الحركة في ١٥٢١م على يد جماعة متطرفة من أنصار مارتن لوثر، على رأسهم "توماس مونزر" رأت أن تعميد الأطفال (تغطسيهم ثلاث مرات في الماء على اسم الثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس) من أجل صلاحهم، لا يتفق مع تعاليم الإنجيل، حيث يجب أن تتوافر في المعمودية أركان الحياة الدينية الصحيحة من توبة وندم وإيمان، وهو ما لا يتوافر في الأطفال، ومن ثم فإن سر المعمودية لا يسمح إلا للبالغين الراشدين الذين اعتنقوا المسيحية فقط، على أنه عندما تطرف هؤلاء في دعوتهم، وقعت إضطرابات وإعتداءت جعلت لوثر يشعر بأن دعوة الإصلاح الديني في خطر، فخرج من مخبئه ليدعو المتطرفين لإلتزام الهدوء والحكمة.

٢-حركة الفرسان :

كان الفرسان قد فقدوا الكثير من امتيازاتهم، فوجدوا في حركة لوثر فرصة لاسترداد نفوذهم وتوسيع ممتلكاتهم، فهاجموا الكنائس وحطموا ما فيها من تماثيل، واستولوا على أملاكها وارضيها ولكن الأمراء قاموا بضربهم، والقضاء على حركتهم، حتى يبقوا هذه الممتلكات في أيدي الكنيسة إن كان الأمراء من الكاثوليك، أو للإستيلاء هم بأنفسه مولأنفسهم عليها إن كانوا من أنصار لوثر، وأدى ذلك إلى ضعف الفرسان وتزايد قوة الأمراء.

٣-ثورة الفلاحين:

كانت أعنف الحركات، وانتشرت في جميع أنحاء ألمانيا، فقد قامت في التيرول وادستريا وفرانكونيا وسوابيا، وهي عبارة عن سلسلة من الثورات التي قام بها الفلاحون فيما بين سنتي ١٥٢٤م و١٥٢٥م، وكان قد سبقها ثورات أخرى قبل ظهور الحركة اللوثرية ولقد ربط الفلاحون بين الاتجاه الفكري والعقائدي لحركة لوثر، وبين ظروفهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومع حركة إعادة التعميد، فقاموا بثورات موجهة ضد السلطة للتحرر وللمعيشة في إخاء يقوم على أساس المساواة، وكان الفلاحون يعيشون في ضنك، فأصدر الفلاحون بياناً يحافظون على امتيازاتهم ويستغل الفلاحين، ثم أصدروا بياناً آخرافى عام ١٥٢٥م لإلغاء رقيق الأرض، وتحديد إيجار الأراضي، وتحديد الأعباء التي يؤدونها للسيد الإقطاعي، وحق كل جماعة في اختيار وتعيين القسس في الكنائس.

☒ أولريخ زونجل

هو سويسري الأصل قاد أول دعوة للإصلاح الديني خارج ألمانيا في مدن سويسرا، وبدأها في زيورخ ١٥١٨م، دون أن يتأثر بتعاليم لوثر في ذلك الوقت؛ فقد هاجم صكوك الغفران، كما هاجم استخدام البابا لرجال سويسرا في حروبه، ودعا إلى زواج القسس، والاعتماد على الإنجيل دون تعاليم الكنيسة، وخالف لوثر في تفسير العقائد، وفيما يجب أن يكون عليه نظام الحكم في الكنيسة، وذهب إلى أن القربان حفلة تذكارية لا غير، ورأي أن يعهد بإدارة الكنيسة إلى يد السطات التي تتولي شئون الدولة، كما فعل لوثر، ولكنه رأي أن هذه السلطات هي السلطات الجمهورية الثورية، ولذا فإنه كان يسود الكنيسة السويسرية النظام التام رغم خضوعها للسلطة الزمنية وعرض زونجل سبعة وستين بنداً يدافع عنها وتلخص عقيدته، ولهذا فأن

زونجل اعتبر الكنيسة مؤسسة ديمقراطية لكل المسيحين الذين يشتركون بواسطة هيئة معينة منهم في الفصل في كل المسائل المتعلقة بالكنيسة والتعيين في الوظائف الكنسية وغيرها، على حين اعتبر لوثر أن أمير البلاد هو دائماً الرئيس الأعلى للكنيسة، وقد قتل زونجل في الحرب التي دارت بين الكاثوليك والبروتستانت في ١١ أكتوبر ١٥٣١م وقد أثر ذلك على الحركة اللوثرية، التي لم تنتشر في سويسرا، ولكن الصلح عقد بينهما في نفس السنة التي حدثت فيها المعركة والتي قتل فيها زونجل "معركة بابل" على أساس تعهد المقاطعات البروتستانتية بترك المقطعات الكاثوليكية تعيش في سلام، وحق المقاطعات البروتستانتية في الاحتفاظ بمذهبها الجديد، وأصبح من حق الولايات حرية اختيار المذهب الذي تتبعه.

☒ جون كلفن

انتقلت حركة الإصلاح الديني إلى فرنسا على يد "كلفن" الذي ولد في فرنسا ودرس القانون بها، وفي عام ١٥٣٤م خرج عن مذهب الكنيسة واتبع مذهب لوثر، واضطر إلى مغادرة فرنسا، لأن ملكها فرانسوا الأول أخذ يضطهد البروتستانت، وبعد قليل أقام في جنيف بسويسرا، ومنها أخذ اسمه وشهرته ينتشران في كل أوربا، وسُمِّي اتباعه في فرنسا "الهيجونوت". كان نظام كنيسة كلفن يقضي بادماج السلطة الدينية في السلطة المدنية، وإشراك غير القساوسة معهم في إدارة شئون الكنيسة، وتخويل الشعب حق اختيار القائمين بها فكان هذا النظام ديمقراطياً من هذه الوجهه فأصبحت جنيف كعبة يؤمها طلاب الإصلاح والمضطهدون من الممالك المختلفة، لاسيما فرنسا واسكتلندا وإنجلترا والأراضي المنخفضة وألمانيا، فلما عاد هؤلاء إلى بلادهم عملوا على نشر مذهب كلفن، ونجحوا في ذلك على الرغم من أنصار الكاثوليكية الذين استماتوا في القضاء على المذهب الجديد، ولكنهم لم يفلحوا، وقد أدى ذلك إلى انقسام أوربا إلى قسمين "بروتستانت وكاثوليك" كانت سبباً في حدوث كثير من الاضطهادات والحروب والثورات في كثير من دول أوربا.

الفصل الخامس

الإصلاح الديني الكاثوليكي

لم يكن الإصلاح الديني في الواقع شيئاً جديداً بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية، فهي قد عرفت أثناء القرون الوسطي دعوات كثيرة مماثلة انتهى بعضها باستحداث أصلاحات داخل الكنيسة تمت بمبادرات داخلية، ولكن الظاهرة الجديدة في الإصلاح الديني الذي حدث في بداية العصور الوسطى تكمن في أنه تم من خارج الكنيسة وبدون موافقتها وأدى إلى نتائج أهمها إنقسام أوربا الغربية دينياً "كاثوليكية وبروتسانتية"، وبذلك تحطمت الوحدة الروحية للمسيحية التي أثرت عليها الثورة البروتستاتية تأثيراً حاسماً، لم يكن الهدف من هذا الإصلاح هو إدخال تغيرات أساسية في العقيدة الكاثوليكية، وإنما المراد به تطهير الكنيسة، مما شابها من الفساد في نظامها وسلوك رجالها.

١-محاكم التفتيش :

اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية على محاكم التفتيش وذلك من أجل تعقب الخارجين على المذهب الكاثوليكي والتنكيل بهم إرهاباً لهم ولغيرهم ولإجبارهم على البقاء داخل حظيرة الكاثوليكية، وكان هذا النوع من المحاكم الدينية موجوداً منذ العصور الوسطي واستخدمتها الكنيسة ضد حركات الهرطقة، وأي فكر قد يظهر ولكنها ظهرت بشكل جديد وبسلطات واسعة حين طالبت إسبانيا إلى البابا في ١٤٧٧م إنشائها في بلادها لمحاكمة المسلمين واليهود هناك وفي ١٤٩٧م خرجت محكمة التفتيش الإسبانية من سيطرة روما المباشرة وأصبحت تحت سيطرة ملوك إسبانيا الكاثوليك وأثبتت فعاليتها في الإرهاب حتى أن كنيسة روما فكرت في إنشاء محكمة مماثلة في مدينة روما، وهكذا أصدر "البابا بول الثالث" ١٥٤٢م مرسوماً بإنشاء محكمة مقدسة للكنيسة العالمية منه ستة كرادلة ثم زيد عدد اعضائها إلى اثني عشر وأشرفت على إرسال المفتشين الكاثوليك إلى كل مكان.

وبالتالي فإن ظهور محاكم التفتيش التي تعتبر الوسائل السلبية التي لجأت إليها الكنيسة الكاثوليكية في روما في تنفيذ الحركة الإصلاحية وقد استخدمت هذه المحاكم

لوقف انتشار البروتستانتية خاصة في إيطاليا وإسبانيا ومارست أعمالها بقسوة وسارت تصدر الأحكام الجماعية باحراق المتهمين أحياءً إضافة إلى التعذيب والسجن ومصادرة الممتلكات، فقد انتزع فرديناند وإيزابيلا من النبلاء الإسبانين حقوقهم ومن المدن الإسبانية استقلالها، واقتصرت حقوق المجالس الشعبية "الكورينز" على تحديد أسباب الشكاوي، ومن دون الخوض في تفاصيلها أو العمل على إزالتها، والجدير بالذكر أن إيزابيلا هي التي وأوفدت كولمبس، وأنجبت أربع بنات، هن "ماري وإليزابيث وجون وكاترين" وابن واحد توفي صغيراً، وكانت لشدة تدينها ترتدي أسفل ملابسها الملكية ملابس خشنة من الصوف وتقوم بزيارة الأديرة والكنائس وأعادت بناء الكثير منها.

وقد استطاعت محاكم التفتيش أن توقف توسع البروتستانتية في إيطاليا واسبانيا وأثارت الرعب في نفوس بروتستانت ألمانيا وشمال أوروبا مما جعلهم أشد مقاومة لعودة الكاثوليكية أما في الأراضي فثاروا عليه وظلوا يحاربونه حتى ظفروا بإلاستقلال.

٢-اليسوعيون (الجزويت):

يعتبر "اجناتيوس ليولا" هو مؤسس جماعة اليسوعيين الذي سيكون لها دوراً كبيراً في المحافظة على الكاثوليكية وتدعيمها وجمع حوله عدد من الزملاء وقرروا جميعاً أن "يحاربوا من أجل المسيح" كان ليولا من أًصل إسباني ومن النبلاء وعاش في بلاط فرديناند وإيزابيلا ثم التحق بجيش شارك الخامس، وحارب ضد قوات فرانسوا الأول، وأصابه جرح أجبره على أن يترك حياة الجندية فاتجه إلى الدين، ودرس حياة الفرنسيين، ودرس اللاهوت حتى حصل على درجة الدكتوراه من باريس عام ١٥٣٤م وكونوا رابطة بينهم، وعزموا على السفر والمعيشة في بيت المقدس لنشر الدين المسيحي في بلاد الشرق الإسلامي، وأنشأوا حزباً باسم "حزب المسيح" جعل قوامه النظام والطاعة والغيرة على المبدأ والدفاع على البابوية وسلطتها، وكانت الوسائل التي اعتمد عليها تخلص في الدعوة بالكفاية والخطابة والتعليم وليست المعتقدات الدينية الكاثوليكية المقررة، وقد نجح الجزويت في عملهم نجاحاً كبيراً وساعدوا على رد تيار البروتستانتية في كثير البلاد غير أن تجردهم من أي فكرة وطنية وانصرافهم إلى غرض ديني هو خدمة الكنيسة والبابوية وضعهم موضع الشك إزاء الحوكومات

الكاثوليكية فتعصروا لنقمتها وسخطها، وانتشر اليسوعيون ودعائهم في ألمانيا والنمسا وإسبانيا وفرنسا، وفي كل مكان في أوربا وساهم اليسوعيون في خدمة الكاثوليكية وأصبحوا شبه تنظيم عسكري.ويرجع الفضل إلى اليسوعيين في إصابة المذاهب البروتستانتيتة بكنيسة في فرنسا وألمانيا وفي هز مركز البروتستانت لفترة من الزمن في انجلترا واسكتلندا، وكذلك في استئصال البروتستانتية من إيطاليا وإسبانيا، أما بولندا فقد نجحوا نجاحاً فائقاً وعلى حساب المذهب الأرثوذكسي ودعموا هناك المذهب الكاثوليكي، حتى أصبحت بولندا إقليمياً كاثوليكياً بين ألمانيا البروتستانتية في الغرب، وروسيا الأرثوذكسية في الشرق ولم تقتصر جهودهم على أوربا فحسب، لقد عملوا على نشر الكاثوليكية فيما وراء البحار وفي العالم الجديد والشرق الأقصي.

٣- مجلس ترنت:

وهو مجلس كنسي اجتمع بأمر الإمبراطور لإيجاد قاعدة التفاهم والوفاق مع اللوثرين، وظل المجلس ينعقد تارة ويتأجل أخرى، حتى بلغت جلساته خمس وعشرين جلسة كان آخرها في ديسمبر ١٥٦٣م، ولقد انقسمت قراراته التي أصدرها أثناء الفترة (١٥٤٥-١٥٦٣)م إلى قسمين؛ أحدهما: متعلق بنظام الكنيسة؛ حيث تقرر استعمال اللغة اللاتينية في الصلاة، وحرم زواج القساوسة، ومنع أن يجتمع عدد من الأسقفيات في يد شخص واحد، وحدد سن من يشغل منصب الأسقف بما لا يقل عن ثلاثين سنة، كذلك حرم تداول الكتب البروتستانتية في الممالك الكاثوليكية، وفتح المدارس لتعليم رجال لدين واجباتهم وتثقيفهم ورفع مستواهم الديني والخلقي والفكري، أما القسم الثاني فهو متعلق بالعقائد؛ حيث تقرر أن تكون الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس هي الترجمة الوحيدة المعتمدة، وأن تبقي أسرار الكنيسة سبعة لا سرين كما أوردها البروتستانت، وأن المرجع في القضايا الإيمان والعقيدة ليس الكتاب المقدس وحده، وإنما لكتاب المقدس والتقاليد الكنيسة واجتهادات الكنيسة.

٤-صلح أوجزبرج "The Religious Peace Of Augsburg"

انعقد المجلس الإمبراطوري في مدينة أوجزبرج لتقرير الصلح مع الأمراء البروتستانت، وهو ماعرف باسم "صلح أوجزبرج"، والذي قرر فرض مذهب ديني

واحد على جميع المقاطعات الألمانية، وعدم إستخدام العنف ضد الولايات الكاثوليكية، وأن من حق كل فرد يعتنق مذهباً مخالفاً لمذهب الولاية التي يقطنها أن يهاجر إلى ولاية أخرى تدين بالمذهب الذي يعتنقه، وله الحق في أن يأخذ معه أمواله، ويحق له أن يبيبع أمتعته قبل رحيله وألا يضار في شرفه، وأحكام هذا الصلح تسري على الكاثوليك واللوثرين، كما قرر الصلح أن أملاك الكنيسة الكائنة في المقاطعات التي تحولت إلى اللوثريين قبل ١٥٥٢م تبقي كما هي.

الفصل السادس
الحياة النيابية في بريطانيا

☒ أولاً : الدستور البريطانى

وبريطانيا أقدم دول العالم عهداً بالدستور الذى كان أساساً لنظام الحكم فيها، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادى كانت مبادئ الدستور البريطانى موضع إعجاب العالم كله، حتى أصبحت نموذجاً تحتذيه أغلب الدول النيابية الحديثة.

ومن أهم خصائص الدستور البريطانى ما يلى:

١- الدستور البريطانى أقدم دستور فى العالم، إذ يمتاز عن غيره من الدساتير العالمية بالعراقة، حيث أنه كان قائماً منذ صدور الماجناكارتا عام ١٢١٥م.

٢- ميزة تطبيق روح القانون، أكثر من غيره من دساتير العالم.

٣- لا يوجد شخص فوق القانون مهما كانت مكانته حتى الملك نفسه.

٤- تحديد وتوزيع الدستور لجميع السلطات حتى سلطات الملك ذاته، وعليه فقد كانت جميع السلطات تمارس من خلال القانون.

٥- يخالف الدستور البريطانى جميع دساتير العالم فى أنه مزيج من عادات وتقاليد سياسية نالت مع الزمن تقدير الشعب واحترامه، وأنه من نصوص تشريعية تقررت فى عهود مختلفة.

٦- لم يتم تكليف هيئة نيابية (لجنة دستورية أو جمعية تأسيسية) مهمة تحرير دستور يكون حدّاً فاصلاً بين عهدين، عهداً ماضياً من الاستبداد، وعهداً قادماً بالحرية، بل جاء الدستور البريطانى نتيجة جهود أجيال متلاحقة على مدار مئات السنين، وهو مايعنى أن بريطانيا لم تنل حريتها مرة واحدة، ولكن نالتها على فترات متتالية.

٧-الدستور البريطاني دستوراً مرناً، حيث أن قوانينه الدستورية تحتاج فى تعديلها إلى الإجراءات العادية المتبعة فى تعديل أى قانون عادى، فلم تكن هناك حاجة ماسّة إلى إحداث تعديلات جوهرية إلاّ فيما يختصّ بقوانين

الانتخاب، إذ أن قوانين الانتخاب دائما ما تحتاج إلى قواعد صارمة لتحديد شروط الناخبين والمنتخبين، ولكن يجب أن يُلاحظ أنه عند تغيير أو تعديل أى قانون من قوانين الدستور البريطانى يجب أن يحصل على موافقة جميع السلطات فى ظل اتفاق شعبى على ذلك، وهو مايعنى أن الدستور البريطانى دستورًا مرناً وقابلاً للتطور فى أى وقت.

٨- الدستور البريطانى هو الدستور العرفى الوحيد فى العالم، وهذا لغلبة الأعراف الدستورية (العادات والتقاليد) على الدستور البريطانى، ولقد اعتادت الهيئات الحاكمة استعمال هذه الأعراف حتى أخذت صفة الإلزام.

٩-الدستور البريطانى إذن دستوراً غير مكتوباً، إذ أن بريطانيا هى البلد الديمقراطى الوحيد الذى لايمكلك دستوراً مسطوراً، حتى قيل أنه لايوجد دستوراً بريطانياً على الإطلاق، وهذه المقولة ذات وجهان:

- الأول: أن الغالب على الدستور البريطانى أنه مستمد من الأعراف والعادات والتقاليد القومية والقيم البريطانية، حتى عُرِف هذا الدستور بالدستور العرفى.
- الثانى: هناك نصوص مكتوبة لقوانين عديدة، مثل الماجناكارتا ١٢١٥م، قانون الحقوق ١٦٨٩م، قوانين الانتخاب، قوانين الصحة والاقتصاد والمالية وغيرها، والتى تُعدّ مصدراً أساسيًا للدستور البريطانى.

من الملاحظ أنه خلال القرون الماضية كانت هنالك محاولات عديدة لتدوين الدستور البريطانى فى وثيقة واحدة، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وكان ذلك لأسباب عديدة منها، أنه ليس هناك سبب يدفع البريطانيون لتدوين دستورهم، فبريطانيا ليست دولة حديثة الاستقلال حتى تكتب لنفسها دستوراً يؤكد وجودها، بل أن النظام البريطانى لايريد أن يقطع صلته بالماضى، وحتى لو نجح البريطانيون مستقبلاً فى تجميع دستورهم فى وثيقة واحدة، فإن الدستور البريطانى سيظل يحتفظ بوصفه دستوراً غير مُدَوّناً، إذ أن التدوين الذى يصف أى دستور هو ذلك التدوين الصادر من السلطة المختصة وقت إصدار القوانين.

خلاصة القول أن الدستور البريطاني بمواده المكتوبة كالجسد الضئيل الذى يطفو على قاعدة كبيرة جداً من العادات و التقاليد، أو هو كالكائن الحى الذى يكبر كلما صدر قانون جديد.

يستمدّ الدستور البريطاني حدوده وقواعده من ثلاثة مصادر: وهى السوابق القضائية، والعُرف الدستورى، والقوانين الأساسية.

ثانياً: البرلمان البريطانى

يتكون البرلمان إما من مجلس تشريعى واحد، وإما من مجلسين تشريعيين، وفى بريطانيا كان البرلمان يتكون من مجلسين إذ كانت بريطانيا أول من أخذ بنظام المجلسين والمعروف بالنظام البرلمانى الثنائى، ذلك النظام الذى كان له من المميزات مادفع العديد من دول العالم للأخذ به مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وإيطاليا ومصر الآن، وهذا النظام ما زال معمولاً به فى بريطانيا، ومن أهم هذه المميزات مايلى:

١- يمنع نظام المجلسين من استبداد السلطة التشريعية نفسها، فإذا استبد أحد المجلسين تشريعيا، أوقفه المجلس الآخر أو حد من سلطته.

٢- يقلل نظام المجلسين من حدوث صدام مابين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فإذا حدث نزاع ما بين أحد المجلسين (ممثلا للسلطة التشريعية) وبين الحكومة (ممثلا للسلطة التنفيذية) يقوم المجلس الآخر بدور الملطف للنزاع.

٣- اتفاق البرلمان بمجلسيه فى الرأى غالبا يمثل الرأى العام ويعكس وجهة نظر الشعب.

٤- يسمح نظام المجلسين أن يكون للطبقة الأرستقراطية تمثيلاً خاصاً بها فى أحد المجلسين، يعرضون فيه طلباتهم ويحصلون به على حقوقهم وحرياتهم، وهو ما يساعد على عدم تعرضهم ووقوفهم فى وجه حريات وحقوق العامة.

ونظراً لأن العالم قد أخذ عن بريطانيا نظام البرلمان الثنائى، لذلك يفخر الانجليز بتسمية البرلمان البريطانى باسم أم البرلمانات فى العالم "The Mother of Parliaments".

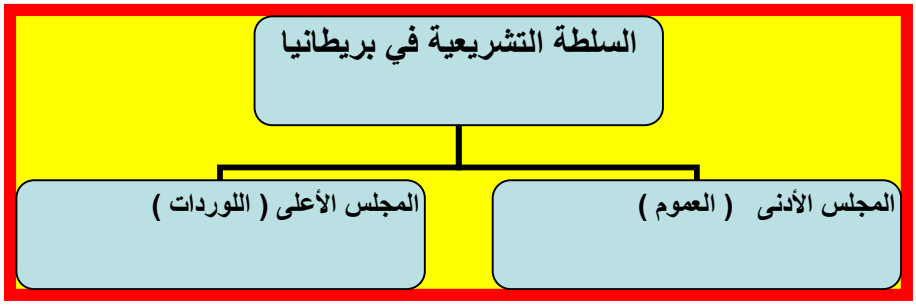

من التقاليد البرلمانية البريطانية:

١- لايجوز للملك دخول البرلمان وحضور جلسات، إذ كان العرش يرسل خطاباً يوضح فيه أنه وجد من غير المناسب . بالنسبه له . أن يحضر الجلسة الإفتتاحية للمجلس الجديد، وعليه تم تكليف لجنة رسمية بالإفتتاح والإشراف على البرلمان، ولكن كانت هنالك حالات معينة يجوز للعرش أن يحضر فيها الجلسات البرلمانية منها ما يلى: القاء خطبة العرش فى إفتتاح الدورة البرلمانية، وإن أصبح ذلك من اختصاصات رئيس الوزراء أن يُلقى مثل هذه الخطب باسم الملك . ناهيك عن حل البرلمان.

٢- وجود جندى من الشرطة فى ركن من أركان مجلس العموم، حيث أنه فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى تم إعادة طلاء البرلمان من الداخل، ونظرا لعدم جفاف الطلاء ،فقام المجلس بوضع ذلك الجندى لينبه الأعضاء أثناء دخولهم وخروجهم،ومن ذلك أصبح وجود ذلك الجندى تقليد برلمانى.

٣- على الرغم من زيادة أعضاء مجلس العموم من وقت إلى آخر، إلا أن مقاعد مجلس العموم ظلت كما هى من حيث عددها منذ أن أُنشئ المجلس حتى يومنا هذا، وعلى الرغم من تقديم بعض الأعضاء للعديد من الطلبات لزيادة عدد المقاعد، إلا أن رئيس مجلس العموم رفض ذلك وبشدة، معتبراً بقاء الحال على ما هو عليه من التقاليد البرلمانية.

٤- على الرغم من انتشار المقولة التاريخية (الملك فى البرلمان) "The King in Parliament"،إلاّ أن ذلك قد تغيّر، إذ أصبحت الجلسة الإفتتاحية تبدأ بكلمة من رئيس المجلس المُنحلّ يُخبر فيها الأعضاء أن الملك يشعر أنه من غير المناسب أن يحضر الجلسة الافتتاحية للمجلس الجديد، لذلك تم تكليف لجنة رسمية مكونة من خمس لوردات يُعرفوا بإسم المفوّضين بافتتاح وعقد البرلمان، ثم يقوم الحاجب بقراءة

خطبة التفويض أوّلاً، ثم يُطلب من أعضاء مجلس العموم بناءاً على الأمر الملكى أن يختاروا من بينهم رئيسا لمجلسهم (المتحدث)، ثم يقرأ رئيس المجلس الصلوات وهو جالس ويقسم – طبقا للقانون– أن يحافظ على النظام داخل جنبات المجلس، ثم يتم تسليم شهادة بالست عشر لورداً– وهم لوردات اسكتلندا–، بعد ذلك يقّدم قائد الجيش للبرلمان قائمة بأسماء اللوردات الروحانيين وتُتَرك القائمة بالأمرعلى المنضدة، وأخيراً يقسم باقي اللوردات، وعقب ذلك ينفضّ المجلس فى الساعة الرابعة والنصف، على أن يجتمع ثانية فى اليوم التالى الساعة الثانية ظهراً.

٥–قراءة الصلوات من الكتاب المقدس داخل البرلمان بمجلسيه، وكانت تستمر لمدة خمس دقائق.

٦–يُمنع على الأعضاء منعًا تامًا قراءة الصحف، أو تحرير أية خطابات، أو المرور أو التردد بين المقاعد أثناء انعقاد جلسات المجلس.

٧–تواجد أقدم ثلاثة من أعضاء المجلس يرتدون الأرواب والشعر المستعار ، وجلوس هؤلاء الأعضاء أسفل منصة الرئيس.ند خروج عضو من أعضاء المجلس عن اللهجة المألوفة وتجاوز فى كلامه مع غيره من الأعضاء، تعلو الأصوات داخل المجلس "لا تضرب تحت الحزام".

ثالثاً: النظام الحزبى فى بريطانيا

من المعروف عن النظام الحزبى فى بريطانيا أنه نظام ثنائى الأحزاب " Two–Party System"، وهذا النظام الذى يتوافر فيه شروط عديدة من أهمها:

١–جود حزبين كبيرين متعادلين فى القوة تقريباً.

٢–يجب أن يتمكن أحد هذين الحزبين من كسب الأكثرية اللازمة فى الحكم دون مساندة حزب ثالث.

٣–تناوب الحزبين على الحكم.

٤–كل حزب يمثل مجموعات مختلفة من الشعب.

الجدير بالذكر أنه منذ أن ظهرت فكرة الأحزاب بمعناها الحديث فى بريطانيا، وقد وُجِدَ حزبان كبيران، ففى القرن الثامن عشر كانت جماعة الويج وجماعة التورى، وفى القرن التاسع عشر تحول اسم هذين الجماعتين، فأصبحت جماعة التورى تُعرف

بالمحا فظين، بينما عُرِفت جماعة الويج بالأحرار، وفى بداية القرن العشرين كان الصراع بين المحافظين والأحرار، حتى ظهر حزب العمال والذى كان ظهوره ايذاناً بنهاية حزب الأحرار.

يعتبر الحزبان البريطانيان صديقين وخصمين فى نفس الوقت، فهما صديقين متى تعاونا من أجل مصلحة البلاد، وهذا لا ينفى شدة تنافس كلٌ منهما مع الآخر من أجل الوصول للحكم، وهذ التنافس بين الحزبين أفضى إلى ما سُمَى بالأغلبية البرلمانية، والتى تعنى حصول الحزب على معظم المقاعد فى مجلس العموم ولم تكن العلاقة بين الأحزاب السياسية فى بريطانيا دائماً تسير فى طريق الصراع الحزبى والعراك السياسى، لكن كانت تشوب هذه العلاقة الكثير من المجاملة، تلك المجاملة التى ظهرت بشكل جلى فى خطبة ألقاها بلفور رئيس الوزراء البريطانى فى عام ١٩٠٢م : " أن الإعتدال فى طبع الانجليزى ، يساعده على أن يكون خصماً سياسياً دون أن يتعرض لخصمة ويصفه بكل نعت مُشرف، فالانجليز فى السياسة كالمحامين فى المحكمة، يعتقد كل منهم بصحة رأيه، ولكنهم لا ينسون أبداً واجب المجاملة فلا يكيل أحدهم الشتائم لمناظره، وإذا خرجوا من دار المحكمة خرجوا أصدقاء".

الفصل السابع

الثورة الفرنسية

☒ **الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية:**

كان الأشراف يستأثرون بأعلى مناصب الدولة، مدنية كانت أو عسكرية، ومع ذلك كانوا يعفون من أعباء الضرائب إلا القليل منها، كما كانت لهم حقوق وامتيازات من بقايا النظام الإقطاعي، كما كان في معظم ممالك أوربا الأخرى، ثقيل الوطأة على الأهالي، ولقد كان ثمة معضلة أخرى ذات صبغة اقتصادية حارت حكومات النظام القديم في علاجها، ذلك أن موارد طعام الشعب لم تكن ميسورة مضمونة، فمع كل ثروة فرنسا الزراعية، وترف طبقتها العليا، كانت بعض طبقات الأمة عرضة بين آن وآخر لفتك المجاعات وأهوالها.

وكانت الإدارة المالية تتميز بدرجة من الفوضي بلغت حد عدم التمكن من وصفها إلا على وجه التقريب، وأرجع المعاصرون مسئولية ذلك إلى إسراف البلاط ومكاسب رجال المال، وكان من الممكن الاقتصاد، ولكن إدارة الدين طالبت بمبلغ ٣١٨ مليون، أي مايزيد على نصف المصروفات إلى هذا الحد إلا بإعلان الإفلاس، فكانت الضرائب، وكانت هناك بعض الأقاليم تدفع أقل من غيرها، وكان البرجوازيون يدفعون أقل من الفلاحين والنبلاء ورجال الدين أقل من ذلك أيضاً.

ومن أجل الإصلاح في فرنسا اقترح "ترجو" إلغاء نقابات طرائف العمال، واطلاق تجارة الحنطة من كل قيد، ثم جاء "نيكر"خلفه في الوزارة "والذي ظفر بحب الجمهور إبان اشتراك فرنسا في حرب الإستقلال الأمريكي، بدفعه نفقات تلك الحرب بالقروض، بعده جاء "كالون" والذي قدم مشروعاً يأخذ ضريبة مالية على عقار من الأرض "ضريبة العقار"، فأثار ذلك الأرستقراطيين وطالبوا بدعوة "مجلس الطبقات" الذي لم يجتمع منذ عام ١٦١٤م. في كان الملك قد فقد كل هيبة، فكان يقضي وقته في الصيد وفي الأشغال اليدوية، وكان معروفاً بالشراهة في الأكل والشرب، عزوفاً عن الناس وعن التسلية، وكانت الإشاعات قد انتشرت عن أن "ماري انطوانيت" قد تسببت بمسألة العقد سنة ١٧٨٥م في أن يفقد سمعته، وتفادى كالون الملك وفكر في جمع مجلس من الأعيان والنبلاء، إلا أن إثارة الإرستقراطيين في اجتماعهم

١٧٨٧م، ومهاجمة الأعيان مشروع كالون وبرغبة الملك فقد أقاله الملك في نفس العام.

كانت الأزمة الاقتصادية من الأسباب التي عجلت بالثورة، فمنذ عام ١٧٧٨م كان الإنتاج قد اعترضته مشاكل نشأت من المشكلات الزراعية، وفي عام ١٧٨٥م مرت البلاد بموسم الجفاف والقحط في أنحاء البلاد، وانخفض أنتاج الحبوب إلى أدني مستوي عرفته فرنسا، وأخذت أسعار الخبز في الإرتفاع المطرد، وكانت الدول بشكل عام؛ ومنها فرنسا تمارس سياسة تجارية، وتمارس منع الإستيراد، وتفرض الضرائب المرتفعة، على الواردات وكانت هناك قوانين الملاحة، واحتكار المستعمرات، الأمر الذي ساعد على تكدس رؤوس الأموال والاحتفاظ بها داخل البلاد، وبخاصة فيما يتعلق بمكاسب النقل، وإنشاء الورش الصناعية.

وساعد الأمراء وحاشيتهم صناعة الكماليات التي كانت لازمة للطبقات الحاكمة، ولكن المجهودات التي بذلت من أجل الإنشاءات البحرية والنسيج والصباغة، ونتيجة لطلبات القوات المسلحة، وعمليات منح الضرائب المباشرة لبعض الأفراد عن طريق الإلتزام، وبمنح الموردين عمليات القيام ببعض الخدمات العامة، وحتى تزود الجنوب بمرتباتهم، ساعدت كلها على ازدهار الخدمات العامة، وحتى تزود الجنود بمرتباتهم، ساعدت كلها علي ازدهار متزايد لرجال المال والمصارف.

اضطرت الحكومة أمام ازدياد ديونها إلى إعادة صهر القطع الذهبية سنة ١٧٧٥م، لكي تقلل من وزن القطع الجديدة، ساعدت ذلك على زيادة الإستهلاك من ناحية، وتوفر الأيدي العاملة من ناحية أخرى، وكان الميزان التجاري لفرنسا في غير صالحها، إذا أن وارداتها كانت أكثر من صادراتها، ورغم نمو بحريتها فإن وسائل النقل الداخلي فيها كانت تتميز بالتخلف، نظراً لقلة القنوات الصالحة للملاحة، وقلة طرق المواصلات، رغم إستخدام السخرة في إنشائها، وكانت الجمارك الداخلية ودفع الرسوم فيها تزيد من الإنفصال بين المقاطعات. زاد من سوء الحالة القرار الصادر في ديسمبر بإعلان بيع ما قيمته ٤٠٠ مليون جنيه من الممتلكات المنزوعة من الكنيسة. واحتفظت الكنيسة في فرنسا بثراوتها وامتيازاتها، ورجال الدين كانوا يمثلون أقلية صغيرة، وقدر عددهم في فرنسا بما يقرب من ١٣٠ ألف شخص، موزعين مناصفة بين إقامة الشعائر وبين الجماعات الدينية، ولنفوذ رجال الدين كان النبلاء

يعينون أبنائهم في الأسقفيات والأبرشيات والكنائس، وشكا صغار رجال الدين وجمهور المسيحيين من عدم صرف إيرادات الكنيسة في أوجهها، وكان رجال الدين يكونون " جماعة ولا يكونون " طبقة "، وجاءت الثورة الفرنسية لتهز أركان الكنيسة أكثر وأكثر بدعوتها للحرية المطلقة، فهي لم تقم فقط ضد نظم الحكم القديمة، وإنما ضد كل ما يحد من الحرية أو يقيدها كالتعليم الدينية، وكانت هذه بمثابة دعوة إلى الفوضوية من وجهة نظر الكنيسة ثم زاد نابليون الطين بلة، بخلعه "البابا بيوس السادس" من منصبه ونفيه إلى فالنسيا حتى وفاته هناك عام ١٧٩٩م، ثم وجه نابليون ضربته التالية حين تجاهل وجود "البابا بيوس السابع" أثناء احتفالات تتويجه في كنيسة نوتارتام، حيث قام بوضع التاج لنفسه وللامبراطورة أوجيني.

وكان البنلاء يكون طبقة لها امتيازاتها واحتفظ بالتقاليد الخاصة بهم، وكان النبل وراثياً، يحصلون عليه بالمولد، ولذلك كانوا يحاولون الأبقاء على دمائهم نقية، وقد أخذ الملك في بيع المناصب للنبلاء الرداء بطريقة وراثية أو شخصية، وظل من بين سلطات السيد جزء من ممارسة القضاء والإشراف على الأمن في القري وبعض الإحتكارات مثل الصيد وبعض الضرائب والسخرة وخدمة الأرض، واحتفظ النبلاء بمزارع خاصة بهم، وكانت الإرستقراطية تتنافس مع السلطة الملكية، ومع الطبقة البروجوازية في نفس الوقت، وكانت تشعر بضغائن عميقة تجاه السلطة الأولي التي كانت قد أخضعتها، وبشعور بالإنفصال والترفع عن الثانية التي كان نموها يهددها، وكانت تمثل أقلية صغيرة للغاية وقدر عددها في فرنسا بنحو ١١٠ ألف نبيل.

وقد أسفر الضغط الاجتماعي المتزايد عن سيل من الإتهام والقضايا، وأعمل العنف من جانب الفلاحين، فتفاقمت بذلك التوترات الاجتماعية في الريف، وكان النبلاء يعفون من ضريبة "التاي" وهي الضريبة العقارية المفروضة على الأراضي والمسكن، ومن السخرة الملكية لبناء الطرق وصيانتها، وضريبة الرؤوس وضريبة الدخل، وبذلك تعدي سخط الفلاحين النبلاء إلى النظام نفسه، نظام العلاقة الإنتاجية الذي يسند مصالح هؤلاء النبلاء.

أما البرجوازية لم تكن جماعة ولا هيئة، ولكنها كانت تكون القطاع الأكثر ثروة والأكثر قدرة بما كان الفرنسيون يسمونه الطبقة الثالثة، وكان أولئك الذين يعتبرون أنفسهم على أنهم بورجوازيون بمعني الكلمة كانوا عدداً بسيطاً من رجال المال وعلى

درجة من الثروة، وكانوا يسايرون ويحاربون أعضاء المجموعتين الآخرتين، على أساس كونهم من الأغنياء، وكان الموظفون يمثلون نسبة كبيرة من هذه الطبقة، وكانوا قد حصلوا على عقود شراء أو التزام وظائفهم، وكان بعض هؤلاء الموظفين قد حصل على ألقاب النبل، فإن البرجوازية كانت تحتك بطبقة نبلاء الرداء والإدارة، أما المجموعة الثانية من البرجوازية فكانت سلطتها أقل، رغم أن ثروتها كانت أكثر، وكانت تضم رجال المال المشرفين على الشئون الاقتصادية والموردين، ومر الكثير من بينهم إلى صفوف النبلاء، وهذه البرجوازية العليا كانت تضم بعض رجال الصناعة أو أعضاء الغرف التجارية، أما ما نسميه بالطبقة الوسطي أو صغار البرجوازية؛ فكان الأعيان يسمونه بالشعب، وبكل احتقار إذ أنها كانت تعمل بأيديها؛ مثل وكيل البريد والمقاول وبائع الكتب وصاحب بنك الرهونات وبعض الجراحين، إذا أن غالبيتهم من الفقراء.

أما الفلاحون فقد استمر نظام عبودية الأرض في المناطق الغربية من القارة، وكان يشتمل على إبقاء حقوق السادة، وفي فرنسا حرر لويس السادس عشر عبيد الأرض، فأصبح ثلث الأراضي تقريباً في أيدي الفلاحين، وأصبح صاحب الحيازة الحرة، يمارسها ويورثها ويتصرف فيها كما يرغب، ولكن بالنسبة للبورجوازيين وسكان المدن وكذلك البنلاء، ظل الفلاح في كل مكان هو الكائن الجاهل الخشن الذي كان مصيره وطبقا للتقاليد هو خدمة الطبقات الحاكمة وتمويل الخزانات الملكية وإطعام سكان المدن، وكان كل سكان القرية يتحملون سلطة السيد والتزاماته الشخصية، وكانت الحيازة تؤدي إيرادات حقيقية، مثل الضريبة الخاصة بالملكية والإيجار ونسبة من المحصول، وضريبة خاصة بالنقل من أرض إلى أرض أخري والخاصة بالبيع.

علاوة على ذلك كان رجال الدين يجمعون ضريبة العشور، والتي كانوا يعطونها في بعض الحالات لأحد المدنيين بطريق الإلتزام، وكانت هذه أكثر ثقلاً من حقوق السادة وأصناف الملك إلى ذلك الضرائب الخاصة به وبالدولة، وكان الريف يدفع تقريباً كل شئ، ولم يطلبوا من النبلاء إلا نسبة بسيطة من ضريبة الرؤوس وضريبة الواحد من العشرين، وكانوا يعفون البورجوازيين، واقتصر رجال الدين على تقديمهم الهبات بدون إلزام، ومع ذلك لم يكن هناك شيئاً يثير الفلاح أكثر من ضريبة الملح

والمعونات التي كان يجبر على تقديمها وبإجباره على تموين الأسواق، فشعر أنه يعاملونه معاملة الدواب.

أما بالنسبة للأوضاع السياسية؛ فقد كانت الملكية منذ عهد لويس عشر قد أصبحت مطلقة ومركزية وبيروقراطية، والحقيقة أن رد الفعل الإرستقراطي كان يميز القرن الثامن عشر، مثله في ذلك مثل نمو البرجوازية، ولم تفكر في استخدام السلاح، ولكنها استخدمت وسائل برجوازية؛ مثل منافسة البلاط الملكي والاتجاه إلى الرأي العام، لعرقلة سلطة الملك والحد منها، وكان نبلاء السيف، الذين كانوا غالباً من أصل عادى رغم ادعاءاتهم، لم يبقوا في الصفوف الخفية، والتف حولهم الموظفون، أما السادة المتحالفين من إلاساقفة، فإنهم سيطروا على المجالس الإقليمية، وتدريجياً تخلي خلفاء لويس الرابع عشر لهم عن الوظائف العليا في السلطة.

وأصبحت السلطة الملكية مهددة، بعد أن أصبحت ضعيفة، بأن تري رد فعل النبلاء يزداد جرأة ضدها، وكان من الممكن أن تؤيد البرجوازية طبقة النبلاء، وانتهى الأمر بنبلاء السيف، ونبلاء الرداء، والموظفين الذين كانوا يحافظون على تقاليدهم المهنية، ورجال القانون والفلاسفة الذين كانوا يستشهدون بالحق الطبيعي، ويصمون على التفكير العقلي، انتهى الأمر بهم جميعا إلى أن يحدوا بالقانون من سلطات الأمير، وأن يضمنوا حرية الفرد ضد التحكم، وكان كبار الملاك العقاريين والبورجوازيون والرأسماليون ينظرون بعطف إلى الحرية الاقتصادية.

وكان برلمان باريس قد وضع الضمانات الكافية لينعقد مجلس طبقات الأمة على النحو الذي يتفق مع مصلحة الطبقة الإقطاعية، فأضاف عن تسجيل المرسوم بدعوة مجلس طبقات الأمة هذه العبارة؛ طبقاً للنظام الذي اتبع في عام ١٦١٤م" ومعني ذلك أن يكون لكل طبقة من الطبقات الثلاث: البنلاء ، ورجال الدين والعامة، عدد متساوٍ من الممثلين، وتصدت كل طبقة على حدة، ويكون لكل منها حق نقض قرارات الطبقتين الإقطاعية والملكية، وابتدائها بين الطبقة الإقطاعية والطبقة البرجوازية فقد بادرت الطبقة البرجوازية، إلى قبول التحدي في باريس، ومنها سرت حملتها إلى الأقاليم في شتاء (١٧٨٨– ١٧٨٩)م.

وقد قامت حملة الطبقة البرجوازية على محورين؛ الأول: مهاجمة امتيازات الطبقتين الأوليين، والمطالبة بأن تحل الكفاءة محل النسب، والثاني: مهاجمة

الأساس الذي ينعقد عليه مجلس طبقات الأمة والمطالبة بالتمثيل الضعفي (أي يكون عدد نوابها مساوياً لعدد نواب الطبقتين الأخريين معا) وفرض التصويت المشترك (أي اجتماع الطبقات الثلاث معاً) والأخذ بالتصويت الفردي لا حسب الطبقة، وقد أزعجت هذه المطالب الطبقة الإقطاعية وخصوصا أمراء البيت المالك، الذين قدموا مذكرة إلى الملك يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٧٨٨م؛ أوضحوا فيها أن "الدولة في خطر" وأن هناك ثورة تستعد للقيام ضد نظام الحكم.

أما الأوضاع الفكرية؛ فقد شهد القرن الثامن عشر طائفة من الكتاب الذين زعزعوا دعائم النظام القديم، ونقصد بها دعائم الحكم المطلق أي عدم المساواة في أمور المجتمع، وعدم المساواة والتسامح في الشئون الدينية، ونظام الحماية في ميدان الاقتصاد أمثال "مونتسكيو" في كتابه "روح القوانين"، وقد جرد الملكية المطلقة بفرنسا من هيبتها السحرية، فولتير الذي شغل نفسه بالتيارات الاجتماعية، أيضاً "جان جاك روسو" كتابه الشهير "العقد الاجتماعي" أن الإنسان خلق حراً ومساوياً لغيره في الحقوق، ولضمان هذه الحرية والمساواة نظم الأفراد أنفسهم، ناهيك عن جماعة من الكتاب هم "الموسوعيون" ومعظمهم ذوو أرواح ثارة كارهة لكل جور وظلم وفي تشهيرهم بتجارة الرقيق، وبجانبها ظهرت جماعة "الاقتصاديين" أو "الفيزيوقراطيين" الذي كانوا يقومون بأبحاث جريئة في شئون إنتاج الطعام والبضائع وتوزيعها. بهذه الفلسفات التي أثرت على الحالة العقلية للشعب الفرنسي مع استمرار استبداد الحكومة الفرنسية، سواء بالنسبة للامتيازات التي كانت للإشراف والنبلاء ورجال الدين، أو أكثر الضرائب التي كانت تفرض على كل كاهل العامة الفقيرة، أدى إلى ضرورة قيام الثورة الفرنسية.

الفصل الثامن
ظهور روسيا القيصرية

☒ بطرس الأكبر.

يقول الرحالة الغربيون الذين زاروا روسيا في القرن السابع عشر؛ أن المجتمع الروسي كان يتسم بحياة مستهترة لا نظام فيها، ففي حين كانت أوروبا تنعم بثمار النهضة ومباهج المجتمع الراقي، كان رعايا قيصر روسيا في ظلام العصور الوسطي، وكانت روسيا أكثر دول أوربا رجعية، وكانت تسيطر عليها مفاهيم القرون الوسطي، وينتشر فيها الجهل الاجتماعي والخرافات.

وقد زاد الموقع الجغرافي في عزلة روسيا، إضافة إلى سيطرة الأتراك على البحر الأسود، ودولة السويد على شواطئ بحر البلطيق، بينما كانت بولندا على التخوم الغربية تقف ضد التوسع الروسي تجاه الغرب، وقد كانت الملكية في السويد تدرك جيداً أن روسيا ينبغي أن لا تحصل على فرص تمكنها من الاتصال المباشر مع مراكز الحضارة الأوربية حتى لا تتطور، وبالتالي تستطيع السويد أن تحتفظ بهيمنتها على شواطئ البلطيق الجنوبية، وهذا يبين أن الطرق القصيرة التي تصل بين روسيا وأوروبا لم تكن مستخدمة على نطاق واسع، وهكذا كان "ميناء أركانجل" كبير الأهمية بالنسبة لروسيا وهو ميناء يقع على المحيط المتجمد الشمالي، وبالتالي كان يغلق لفترات ليست قصيرة خلال فصل الشتاء نظراً لتجمد المياه[١].

عاش الشعب الروسي السلافي في سهول أوروبا الشرقية مختلفاً في ثروته الاقتصادية ومعارفه ومدينته، وقد تأثر الشعب الروسي بالكنيسة البزنطية، فاعتنق منذ القرن التاسع الديانة المسيحية على مذهب الأرثوذكس، ويبدأ تاريخ روسيا الحديث منذ إعتلاء "بطرس الأكبر" "Peter the Great" (١٦٧٢-١٧٢٥)م العرش، وهو من أسرة رومانوف التي استمرت تحكم روسيا حتى قيام الثورة البلشفية[٢].

وصل بطرس إلى عرش القيصرية في عام ١٦٨٢م، وكان له من العمر تسع سنوات وتميز بالذكاء، وكان من المفروض أن يظل تحت وصاية والدته، ولكن إحدى إخواته

"صوفية" استولت على هذه الوصاية، واحتفظت بها مدة سبع سنوات، وأرسلته أخته إلى إحدى القري القريبة من موسكو، والتي كانت مخصصة للإقامة الإجبارية للأجانب، وكانت تضم السفراء والتجار والباحثين عن الوظائف في روسيا، وكان يقيم فيها عدد من الألمان والهولنديين والأسكتلنديين، ولقد أثر ذلك على تربية بطرس، وعلى تفتح آفاق فكرة منذ صغره، وفي عام ١٦٨٩م عرف بطرس أن أخته – التي تدير شئون الدولة والحكم– قد أعطت لنفسها لقب القيصرية، وأنها أعلنت عزمها على الاحتفاظ به، فقام بمساعدة أعوانه بالهجوم عليها، وحبسها في احد الأديرة، واستولي على الحكومة.

كان اتصال بطرس بالأوربيين في موسكو من أهم أحداث صباه، والعامل المقرر في حياته كلها، فلقد تعلم عنهم بعض الألمانية والهولندية، ومبادئ العلوم والحساب والهندسة، واستكشف عن طريقهم بعض مظاهر الحضارة على إمبراطوريته، التي كان أهلها يعيشون معيشة شبه أسيوية، ومع وصول بطرس الأكبر إلى الحكم في روسيا، بدأت عملية الدخول في العصور الحديثة، والأخذ بأسباب المدينة والحضارة، ويعتبر بطرس واحداً من مؤسسي الدول الذين تألقوا في الصفوف الأولي في ميدان بناء الأمم والشئون العالمية، وكان من مؤسسي الدول شديد الحرص على التمسك بكافة السلطات(٣).

وقد كانت أغراض بطرس الأكبر في الإصلاح واضحة، فقد كان يهدف إلى جعل روسيا دولة أوروبية متمدنة، وذلك بإدخال العادات المعيشية وزيادة حجم التجارة، ولتحقيق ذلك أجبر الأشراف على الخضوع، وعلمهم أن التربية والخدمة في الجيش هما سبيل الرقي، وقضي على إمتيازات الأشراف وعلى الرشوة والإختلاس اللتين كانتا سائدتين في الإدارة، كما قام ببعثة إلى أوربا؛ فزار انجلترا وروسيا وهولندا والنمسا، وكان يهدف من وراء هذه البعثة الإطلاع على وجوه الإصلاح، وممارسة الأعمال المختلفة، وفعلاً عندما عاد إلى بلاده بدأ في تنفيذ خططه، وشجع نشر العلوم وإصلاح الإدارة، مستعيناً في ذلك بالفيلسوف الألماني "لينتر" وقد كان المعارضون له الحرس الوطني "المليشيا الوطنية" و البطريق، وقد تمكن بطرس من إبادة أفراد الحرس، وذبح كثيراً منهم بيده، أما البطريق فقد ألغي بطرس هذا المنصب عام

١٧٠٠م عندما توفي البطريق، وأحل مكان هذا المنصب مجلساً ملياً، ينتخب القيصر أعضاءه وبهذا أصبح القيصر رئيسا دينيا كذلك.

وكانت روسيا في حاجة إلى أن تتصل بالغرب ولكن السويد كانت تسيطر على سواحل بحر البلطيق، وتمنع روسيا من الوصول إليه، أما تركيا فإنها كانت تسيطر على مصبات الدول والدردنيل، وتمنع روسيا من الوصول إلى البحر الأسود، وكانت بولندا تمنع روسيا من الاتصال بوسط أوربا، ولذلك فإن بطرس كان في حاجة إلى فتح نافذة تطل على أوربا، فأصبحت مهمته مزدوجة، وتتلخص في ضرورة " تطوير" روسيا من الداخل و"تغيير" حالتها الخارجية، فأنفق بطرس ستة وثلاثين عاماً من حكمه (١٦٨٩-١٧٢٥)م للوصول إلى هذين الهدفين.

كان بطرس ضخم الحجم، ويصل طوله إلى ما يزيد على المتمرين ولكنه كان خفيف الحركة، ويتميز بقوة غير عادية وبقوة تحمل لا توصف، وكان في وسعه، مع أربع ساعات من النوم، أن يواصل عمله ومجهود لفترة ٤٨ ساعة بمنتهي النشاط، وكان لايطيق البقاء بدون عمل، ويعيش في حركة دائمة؛ يسافر في إمبراطوريته، ويصدر الأوامر، ويقود وحدات جيشه أو إحدى السفن، ويخطط المدن الجديدة، ويعمل نجاراً في دار صناعة السفن ويبني المنازل، ويجري العمليات الجراحية، وينتزع الأسنان، وكان يمثل طاقة جثمانية، في الوقت الذي تميز فيه بالذكاء، ولكنه كان ينقل دون أن يبتكر، أو حتى يختار ما يلائم بلاده، ولذلك فإن روسيا أصبح لها مع تطويره له، جيشاًألمانياً، وأسطولاً هولندياً، وإدارة سويدية.

وكان يتميز بالمثابرة للوصول إلى أهدافه، مهما صادف من عقبات ومعوقات، ومن كلماته المأثورة:"أن السويديين سيحاربوننا لفترة طويلة، ولكن مع استمرار هزيمتهم لنا، سيعلموننا كيف ننتصر عليهم"، وكان بطرس يعتبر أنه مالك روسيا بأراضيهم وسكانها، ولكنه كان يعتبر نفسه خادم روسيا الأول في نفس الوقت، وتنازل عن الأملاك التي ورثها للدولة، وكان لا يستلم سوي راتبه، بصفته نجاراً في الأسطول، ونقيباً في الجيش، ثم رفع هذا الراتب الأخير بعد أن ترقي، وهو قيصر إلى رتبة كولونيل، فتقاضي راتب هذه الرتبة، وكان هذا يفسر إهماله لملابسه، وأقامته حفلاته على حساب أصدقائه الأجانب وفي بيوتهم، ولكنه أنشأ لروسيا جيشاً قوياً، وأسطولاً له قيمته، وهما وسائل الوصول إلى القوة والعظمة.

ومن ناحية أخرى لم يأل بطرس الأكبر جهداً في تطوير روسيا داخلياً، وقد ظهرت عملية التطوير هذه في ثلاث مجالات؛ مجال العادات والتقاليد وتنظيم الحكومة المركزية، وحكومات الإقليم، وأخيراً: تنظيم الجيش، إضافة إلى المجال الاقتصادي والديني، فقد أمر بإلغاء الملابس الشرقية واستبدالها بالملابس الأوربية، وحرر المرأة الروسية من قيود العزلة، كما أمر بحلق لحي نبلائه، وكان ذلك بداية حملة للتخلص من هذه العادة القديمة، ولكي يحرر نفسه من الشعور الأسيوي وتقاليد موسكو، عموماً فقد شرع بطرس ع في تنفيذ سلسلة من الإصلاحات تهدف لبناء روسيا من الداخل، ولعل أهم ما في التنظيم الإداري الجديد منع احتكارالنبلاء للوظائف العليا في الدولة، وإلغاء مجلس النبلاء والأعيان التقليدي واستبداله بمجلس الشيوخ.

وكان من أهم أعمال بطرس تنظيم الجيش، وتدريبه على الطريقة الألمانية، حتى بلغت قوته في نهاية حكمه مايقرب من مائة ألف مقاتل من مشاه وفرسان، علاوة على قوات القوزاق غير النظامية، وأنفق مبالغ ضخمة على إنشاء الأسطول، ويقال أن عدد قطعه بلغت ألف سفينة تضم سفن التجديف المنخفضة، وسفن الشراع المرتفعة، كما قام بإنشاء مدينة سان بطرسبرج، واتخذها عاصمة لروسيا، واختار لها موقعاً على ساحل بحر البلطيق، أي على الطريق إلى أوربا، وفي المنطقة التي حصل عليها من الأعداء، عمل بهمة ونشاط حتى تمكن لها وزنها، وأحضر ٤٠ ألف عامل إلى هذا الموقع، وكانت أدوات الحفر تنقصهم، فاستخدموا العصي بدلا من الفؤوس، وكانت المنازل من الخشب، وبنيت على الطريقة الهولندية.

أجبر القيصر الأغنياء من رعاياه على بناء منازل من طابقين، كما أجبر السفن القادمة على أن تحمل بعض أدوات البناء، وشيد لنفسه "قصر البيترهوف" على قرابة ثمانية عشر ميلاًمن باريس الجديدة هذه، مستخدماً في ذلك مهندساً معمارياً فرنسياً، وأنشأ شرفه "تراسا"ونوافير ومساقط مائية وبهواً للصور[٦]، وسار بطرس بعد ذلك في سبيل الإصلاح على الأسس الأوربية فدعا الفلاحين والعمال وصناع السفن الأوربيين إلى الإقامة في بلاده[٧].

وقد أدى نشاط بطرس في سياسة الخارجية والداخلية إلى قيامه بوضع وصية عُرِفت بوصية بطرس الأكبر والتي تهدف إلى تنفيذ سياسته القاضية بإزالة الحواجز الثلاثة الجائلة بين روسيا وبين أوربا الغربية؛ وهي السويد وبولونيا والدولة العثمانية، وقد

أزيل الحاجز الأول باستيلاء روسيا على جميع الولايات السويدية الفاصلة بينها وبين ألمانيا، بحيث لم يبق للسويد أملاك خارجية عن بلادها الأصلية بمقتضي "معاهدة تستاد" المبرمة بينهما عام ١٦٧٢م، وأزيل الثاني تقريبا بتعيين أحد أتباع الإمبراطورة كارتين الثانية ملكاً على بولونيا، ولذلك تنبهت الدولة العثمانية إلى نتيجة هذه السياسة، وعلمت أنها أن لم تضع حداً لتقدم نفوذ روسيا، أو بتجزئتها بينها وبين مجاوريها، لكن كان تنبهها هذا بعد فوات الوقت المناسب فإنه كان يجب عليها مساعدة السويد في حفظ ولاياتها غنيمة لها مما يطعمها في الإستمرار في تنفيذ وصية بطرس الأكبر التي تتمثل في الآتي:

١- ضرورة انقياد العساكر دائماً إلى الحرب وتنظيم المعسكرات، وينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب، وهكذا زمن الحرب للصلح لزيادة قوتها وتوسيع منافعها.

٢- ضرورة العمل على جلب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر معلومات في أوروبا.

٣- في وقت السلم ضرورة جلب أرباب العلم والمعرفة لرقي الأمة الروسية.

٤- ضرورة المداخلة في شئون أوربا عندما تسنح الفرصة بذلك خاصة الممالك الألمانية لقربها منها.

٥- ينبغي استعمال أصول الرشوة لأجل إلغاء الفساد والحسد في داخل الممالك- يقصد هنا مملكة بولونيا - واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى يمكن المداخلة في انتخاب الملك.

الحرب ضد الأتراك والسويد:

قبل أن يقوم بطرس بزيارته الأولى لأوربا، أراد أن يقوم بعمل ملحوظ في السياسة الخارجية، فقام في عام ١٦٩٥م بأولى المحاولات الخاصة بفتح باب الإتصال مع أوربا، ولم يكن في وسعه القيام بذلك إلا عن طريق الاستيلاء على أحد الموانئ، أما على بحر البلطيق، وعلى حساب السويد وأما على البحر الأسود وعلى حساب الأتراك، ودفعته العوامل إلى أن يبدأ بالحرب ضد الأتراك، خاصة وأنهم كانوا أكثر ضعفاً، وكانوا مشغولين بالحرب ضد النمسا والبندقية، كما أنه كان في وسع الحرب ضدهم، وهم مسلمين أن تأخذ شكل حرب صليبية، علاوة على لونها السياسي، وكان

بقائهم في القسطنطينية، العاصمة الأرثوذكسية السابقة للعالم، يعمل على إيقاظ الروح الوطنية لدي الروس الأرثوذكس.

وعمل بطرس على الاستيلاء على ميناء أزوف– الواقع على منصب نهر الدون – من الأتراك في عام ١٦٩٥م، بالهجوم عليه من البر، ولكنه فشل في هذه المحاولة، فأردفها بمحاولة ثانية في العام التالي، بالهجوم عليه من البر وبمعاونة بعض السفن لحصاره من البحر، ونجح في الاستيلاء عليه، وكان لذلك صدي في أوربا، وشارك بطرس في هذه العمليات، وبصفته أحد رجال المدفعية، وكان له من العمر ثلاثة وعشرين عاماً، وسيحتفظ بهذا التواضع طوال حياته، ولن يأخذ مسئولية رتبة عسكرية إلا بعد أن يصل إليها بجدارة، وستكون أكبر رتبة عسكرية يمارسها في الجيش هي رتبة كولونيل.

ورغم أن الاستيلاء على أزوف هاماً، إلا أنه لم يسمح لبطرس إلا بنجاح بسيط للإتصال بأوربا، خاصة وأن هذا الميناء كان يطل على بحر أزوف الذي لا يتصل إلا بالبحر الأسود، والذي كانت كل سواحله، ومخارجه في البوسفور والدردنيل، تحت سيطرة الأتراك، واحتل بطرس ميناء أزوف عند مصب نهر الدون في عام ١٦٩٦م، وفي عام ١٦٩٩م عقدت معاهدة بين الطرفين تنازلت تركيا بموجبها عن ميناء أزوف، وعلى العكس من ذلك كان بحر البلطيق، رغم تفوق السويد فيه، بحراً دولياً تطل عليه السواحل السويدية والألمانية والبولندية والدنماركية، ولذلك فإن بطرس اتجه إليه، وبعد أربع سنوات من الاستيلاء على أزوف(٩)، عمد بطرس إلى تحطيم ذلك الجدار السويدي الذي كان يحيط ببحر البلطيق، ويفصل روسيا عن غرب أوربا، ولقد استمرت الحروب في هذا الإتجاه مدة إحدى وعشرين عاماً حيث انتهت عام ١٧٢١م.

وكانت السويد قد تمكنت في أثناء القرن السابع عشر، ونتيجة لمجهودات جوستاف أدولف، من أن تحول بحر البلطيق إلى بحيرة سويدية فاستولت على فنلندا، وأخذت السواحل الشرقية لهذا البحر، واستولت على استونيا من بولندا ، كما استولت على مصب نهر الأودر وبومبرانيا الغربية من الأراضي الألمانية، كما حصلت على بعض المناطق والجزر من الدنمارك وكان من الطبيعي أن تتحول الدول التي توسعت السويد على حسابها إلى أعداء لها، ينتظرون الفرصة الأولي للتكتل ضدها.

رأي بطرس هذه الحقيقة بوضوح وعمل على تحقيقها واستغلالها لمصلحته ومصلحة روسيا، وفي عام ١٦٩٩م كان "شارل الثاني عشر"ملك السويد شاباً صغيراً، له من العمر سبعة عشر عاماً، واعتقد كل من قيصر روسيا بطرس، وملك بولندا، ومنتخب ساكس، وملك الدنمارك، أن في وسعهم للقضاء عليه، فتكتلوا ضده وتم عقد تحالف، عن طريق ثلاث معاهدات عقدت في كوبنهاجن وموسكو من عام ١٧٩٨م إلي عام ١٧٠٠م، وكان تحالفاً هجومياً، سمح له ببدء العمليات ضد ملك السويد في هذا العام الأخير، وقام بطرس فيما يخصه، بمحاصرة نازفا، ولكن شارل الثاني عشر كان محارباً قديراً، فبدأ بمحاصرة كوبنهاجن وفرض الصلح على الدنمارك عام ١٧٠٠م، ثم استدار بسرعة صوب الروس وفرق شمل ٤٠ ألف مقاتل منهم، كانت غالبيتهم لم تتدرب بعد على الطرق الحديثة وفك حصار نارفا.

وأصبح موقف بطرس في منتهي الخطورة، خاصة إذا ما أقام ملك السويد بمواصلة الهجوم ضده، ولكن شارل الثاني عشر انشغل لمدة ست سنوات (١٧٠١-١٧٠٦)م بمشكلات بولندا، التي عين ملكاً جديداً عليها، ثم واصل عملياته ضد منتخب ساكس حتى يعترف بهذا الملك الجديد، ولكن بطرس الأول انتهز هذه السنوات الست في الإعداد، فواصل إعطاء الدعم لمنتخب ساكس، وعمل على بناء قوات مسلحة على الطريقة الحديثة، وقرر فرض نظام الخدمة العسكرية الإجبارية، وصهر أجراس الكنائس- رغم معارضة القسس- وصبها في مدافع، تلزمه في الحرب، واستولي بطرس وقت انشغال ملك السويد ببولندا على استوانيا، وقام بإنشاء مدينة سان بطرسبرج عند قاع خليج فلنلندا، وقام بتحصينها حتى يمكنها مقاومة هجمات السويد المقبلة عليه، وبذلك وصل الروس إلى السواحل الدافئة وأكدوا نفوذهم وتفوقهم في شرق أوربا(١٠).

وبدأ هجوم السويد على روسيا في عام ١٧٠٨م، وقاد شارل الثاني عشر جيشا من ٣٣ ألف مقاتل، وعرض عليه بطرس التنازل له عن كل فتوحاته على أن يترك له ميناء واحد يطل على بحر البلطيق، ولكن ملك السويد رفض أي مفاوضات تحدث إلا في موسكو، فاستخدم بطرس ذلك التكتيك الذي استخدمته منه روسيا بعد ذلك ضد قوات نابليون، وضد القوات النازية في الحرب العالمية الثانية، الذي يتلخص في الإنسحاب من الحدود صوب الداخل، وتدمير وسائل المواصلات وكل إمكانية لتموين

قوات العدو الزاحفة، ووجد السويديون أنهم يزحفون في فراغ، فحولوا خط هجومهم من موسكو إلى الجنوب صوب أوكرانيا، واعتقدوا أن الأهالي سينضمون إليهم في هذا الأقاليم، وجاءت الثلوج وفقد السويديون كل خيولهم، ولم يبق لهم سوي أربعة مدافع و١٩ ألف مقاتل، وعندئذ هجمت عليهم قوات بطرس الأول في بولتافا، في مايو عام ١٧٠٩م، وكان عددهم يصل إلى ٦٠ ألف مقاتل، وانهزم جيش السويد، وكان شارل قد جرح في رجله، واضطر إلى الإلتجاء إلى اقرب حدود له، ودخل لاجئاً إلى الدولة العثمانية، التي أقام بها من عام ١٧٠٩ حتى عام ١٧١٤م، وكانت معركة بولتافا من المعارك الفاصلة في التاريخ، والتي جعلت من روسيا أكبر دولة في شمال أوربا.

واصل بطرس عملياته ضد الدولة العثمانية، وهجم بقواته على البغدان، ولكن القوات العثمانية حاصرته عام ١٧١١م، واضطرته إلى أن ينسحب ويعيد أزوف إليهم، بعد أن دفع ثلاثة ملايين فرنك ذهب للصدر الأعظم محمد بلطجي(١١).

علينا ألا ننسي أن إمبراطورية السويد قد تحطمت أثناء وجود شارل الثاني عشر في الدولة العثمانية، فحصل قيصر روسيا على جزر الآند وليفونيا وأخذ في غزو فنلندا، أما منتخب ساكس فأنه طرد ملك بولندا الذي كان شارل ملك السويد قد نصبه ملكاً هناك، وعمل على التوسع على حسابه، وأعد ملك الدنمارك عملية إنزال في السويد نفسها، بينما قام ملك بروسيا باحتلال بوميرانيا، وظل شارل ملك السويد لاجئاً في الدولة العثمانية، وحين عاد إلى بلاده هزمه ملك روسيا في العام التالي، الأمر الذي أدى إلى ضياع إمبراطورية السويد، وحاول شارل الثاني عشر أن يتحالف مع إسبانيا، ويأخذ النرويج من الدنمارك، ولكنه قتل في المعركة عام ١٧١٨م، الأمر الذي مهد لعقد "صلح نيستاد" في عام ١٧٢١م، والذي توسطت فيه فرنسا، وهوالصلح الذي اعترف لروسيا ملكية ليفونيا واستونيا واجزاء من فنلندا.

هكذا انتهت هذه الحرب الطويلة، والتي امتدت إحدى وعشرين عاماً، إلي تحقيق ما يزيد على ما كان بطرس الأكبر يأمل فيه، فلقد كان يأمل في الحصول على نافذة تطل منها على بحر البلطيق، فحصل على واجهة بحرية يصل طولها إلى مئات الكيلومترات ولقد استخدم هذه الشدة حتى مع ابنه، الذي التفت حوله عناصر المعارضة، وسجنه في أحد الأديرة، ثم حاكمه بعد فراره للخارج، وعذبه حتى مات،

ولقد تحولت روسيا في عهد بطرس الأكبر إلى دولة عظمي أوربية، حتى وإن كانت عمليات تطويرها سطحية أكثر منها جزرية، ولكنها كانت مجهودات إيجابية على طريق الحضارة الغربية.

☒ كاترين الثانية :

توفي بطرس الأكبر في عام ١٧٢٥م، وله من العمر ٥٣ سنة، وبعد فترة من الزمن تتالى فيها عدد من القياصرة الضعفاء أو القساة على العرش، وصلت كاترين الثانية إلى الحكم عام ١٧٦٣م، وكان لها من العمر ٣٣ سنة[١٢]؛ حيث حصلت على التاج بطريقة شرقية بحتة هي قتل زوجها القيصر الشرعي[١٣]، وقامت بتعيين عشيقها "ستانسلاس يونياتوسكي" ملكاً على بولونيا بعد وفاة "أوجست الثالث" ملك بولونيا، وذلك باستعمال نفوذها في مجلس الأمة عند الإنتخاب خلافاً لما تعهدت به للدولة العثمانية، وما ذلك إلا تنفيذاً لسياسة بطرس الأكبر.

وكاترين الثانية بنت البرنس "انهلت زربست" الألماني، ولدت عام ١٧٢٩م، وتزوجت بالأمير الألماني الذي عينته الإمبراطورة إليزابيث وارثاً لها في الملك، ثم لما تولي زوجها الملك باسم "بطرس الثالث"، استمالت كاترين أهالي الروسيا إليها وعزلته في عام ١٧٦٢م، وبعد موته توجت هي إمبراطورة للروسيا، واشتهرت بالسير على خطة بطرس الأكبر[١٤]، وحكمت لفترة ٣٣ سنة أخرى، أي حتى عام ١٧٩٦م، وكانت ذكية ونشطة وطموحة وجريئة، رغم أنها كانت من أصل ألماني، إلا أنها كانت أقرب القياصرة إلى قلوب الروس، وعرفت كيف تتعامل مع أبناء البلاد، كانت بسيطة حتى في تعاملها مع الخدم، وكانت متعلمة على الطريقة الفرنسية، وكانت أكثر نشاطاً من ملوك أوربا المعاصرين لها، مثل فريدريك الثاني وماريا تريزا وجوزيف الثاني، وكانت تعمل خمسة عشر ساعة في اليوم، مما أعاد إلى الأذهان ذكري بطرس الأكبر، ولقد كانت على اتصال بفولتير لمدة خمسة عشرة عشرة عاماً، ومدت يد المعونة إلى عدد من الأدباء والمفكرين الفرنسيين[١٥]، وكانت محبة للعلوم مساعدة للعلماء على بث معارفهم في البلاد، لكن دنست اسمها باتخاذها الأخلاء بالعديد من رجال حكومتها بل ومن خدمها[١٦].

لقد تظاهرت في أول حكمها بأنها من أنصار الحرية، وجمعت ٦٠٠ من نواب روسيا، وطلبت منهم وضع قانون يتمشي مع الحرية، ولكن هذه اللجنة لم تتمكن

لمدة عامين من انجاز عملها، رغم أنها أعطت فكرة خاصة عن نظام الحكم في روسيا كنظام متحرر أمام كل أوربا، والحقيقة أن كاترين الثانية كانت شديدة في حكمها، وثبتت حقوق السادة الإقطاعيين على رقيق الأرض، وألغت حق رقيق الأرض في الشكوي من سادتهم، وأعطت للسادة الحق في إستخدام رقيقهم لكل الوقت الذي يرغبون فيه، وحين حاول رقيق الأرض القيام بثورة، وزحف مائة ألف منهم على موسكو، نجحت كاترين الثانية في القبض على قائده وعذبته وقتلته وانهت الحركة.

ويتمثل أهم أعمال كاترين الثانية في التنظيم الإداري والقضائي لإمبراطورية روسيا، التي قسمتها إلى خمسين حكومة، وهو التقسيم الذي ظل موجوداً حتى نشوب ثورة أكتوبر وأنشأت كاترين عدداً ضخماً من المحاكم، كل منها متخصصة في نظر قضايا الطبقات الاجتماعية المختلفة من نبلاء وبورجوازيين وفلاحين أحرار، دون أن تكون هناك محاكم لعبيد الأرض وكان من أهم أعمال كاترين الثانية كذلك مجهوداتها للاستعمار على الطريقة البروسية، وجذبت عدداً من الأجانب إلى المقاطعات الجنوبية في روسيا، وخاصة مناطق ألفولجا وأوكرانيا، والتي كانت تتميز بالخصوبة وقلة السكان، وأحضرت الحكومة الآلاف من المهاجرين، ومن الزراع والحرفيين، وكانت تزودهم بالمساكن والمواشي وأدوات العمل، وأنشات بهذه الطريقة ما يقرب من مائتي مدينة صغيرة، ووضعت هذا المشروع تحت إدارة "بوتمكين"، الذي كان ضابط صف ثم صديق لها، على طريقة صديقات لويس الخامس عشر، وبدأ هذا المشروع وفي مناطق جنوب روسيا ٢٠٠ ألف نسمة، وصل عددهم عام ١٧٩١م إلى ٨٠٠ ألف.

أما في السياسة الخارجية فقد واصلت كاترين سياسة سلفها في الاتصال بأوربا، فاتفقت مع بروسيا والنمسا على تقسيم مملكة بولندا، وكان نصيبها منطقة واسعة من الأراضي، مكنتها من أن تجعل حدود روسيا تطل على أوروبا الوسطي، كذلك أعلنت كارتين الحرب على تركيا مرتين الأولي عن عام (١٧٦٨-١٧٧٤)م، التي انتهت بمعاهدة "كوتنشوك كينارجي" في ٢١ يوليو ١٧٧٤م، والثانية من عام (١٧٨٧-١٧٩٢)م وانتهت بمعاهدة "ياسي" في يناير ٩يناير ١٧٩٢م، ولكن ثبات الأتراك وجزع الدول من إزدياد تقدم الروس لم يهيئ لكاترين نجاحاً إلا في الاستيلاء على القرم وشوطئ البحر الأسود الشمالية من القوقاز حتى نهر الدنيستر.

يمكن أن يقال أن أملاك روسيا في ذلك العهد اتسعت بما لا يقل عن مساحة النمسا، وعلى العكس من ذلك نجد أن كاترين لم تنجح في اتجاه الجنوب، رغم أنها كانت تحلم بتقسيم الدولة العثمانية، وإنشاء إمبراطورية يونانية لحفيدها في القسطنطينية، ذلك أن الدول العظمي خشيت من سرعة توسع روسيا، ووقفت ضدها في حربين، وأعطتها مخرجاً على البحر المتوسط(١٧)، كما أرسلت إلى الأمراء المماليك بمصر تحرضهم ضد الدولة العثمانية، إلا أن المماليك رفضوا هذا التحريض، وقتلوا سفيرها حامل الراسالة رغم طلب الحكومة العثمانية أرسله إليها(١٨).

وبالنسبة للقرم؛ فإن روسيا أخذت تبث رجالها في بلاد القرم لإيجاد المشاغب الداخلية بها، وبالتالي لإبتلاعها وضمها إلى أملاكها، كما عملت على نشر الفتن بين الأهالي، حتى عزلوا أميرهم "دولت كراي" الذي انتخبه الأهالي بمقتضي "معاهدة فينارجه"، وكانت المخاوف أن تقع حروب داخلية، لذا أمرت روسيا الجنرال "بوتمكين" باحتلالها، فدخلها بسبعين ألف جندي، وتم امتلاك كافة سواحل البحر الأسود الشمالية في عام ١٧٧٣م، فثارت الدولة العثمانية وأرادت اشهار الحرب على الروسيا لإلزامها باحترام "معاهدة قينارجه" القاضية باستقلال بلاد االقرم.

تدخلت فرنسا في الأمر، واقتنعت الدولة العثمانية بالعدوان عن الحرب، لعلمها أن روسيا وقعت اتفاقاً سرياً مع النمسا وقد يقع الخراب والدمار، خاصة وأن كاترين الثانية كانت على استعداد للحرب، فهي كانت ترى إنشاء حكومة مستقلة تكون حاجزاً بينهما وبين الدولة العثمانية مكونة من الفلاخ والبغدان وإقليم بساربيا يكون اسمها مملكة داستي، ويعين لها ملك من المذاهب الأرثوذكسي، وأن تأخذ روسيا "ميناء أوتشاكوف" الذي يسمي عند الترك بـ"مدينة أوزي"، وبعض جزر الروم، وتأخذ النمسا بلاد الصرب والبوسنة والهرسك من أملاك الدولة العثمانية وبلاد دالماسيا من أملاك البندقية وتعطيها عضواً عن ذلك بلاد المورة وجزيرتي كريد وقبرص، وأن تعطي باقي دول أوربا أجزاء أخرى يتفق عليها فيما بعد.

أما إذا تم لهم النصر ودخلوا مدينة الأستانة، فيعيدون مملكة بيزنطة كما كانت قبل الفتح العثماني، وتعيين الغراندوق الروسي قسطنطين ملكاً عليها، بشرط أن يتنازل عن حقوقه في مملكة الروسيا، حتى لا يتفق وجود المملكتين الروسية البيزنطية فيقبضة ملك واحد ومع عدك استعداد الدولة العثمانية على مقاومة الروسيا فضلت

قبول وساطة فرنسا والإعتزام بضم القرم للروسيا التي كانت تفضل إثارة العثمانيين لدخولها الحرب، وتهييج مسيحي ولايتي الفلاخ والبغدان عليها[١٩].

عاشت كاترين حتى شهدت نهاية الملكية العظمة في أوربا بإعدام لويس السادس عشر، وحين توفيت كاترين وذلك في عام ١٧٩٦م، أي في الوقت الذي انتصر فيه الجنرال بونابرت في "موقعة أركول"، تركت روسيا وقد زادت مساحتها ، كما زاد عدد سكانها ٧ مليون نسمة.

الفصل التاسع
الوحدة في القارة الأوروبية

أولاً : الوحدة الإيطالية

الوحدة الإيطالية هي حركة اجتماعية سياسية ثورية، انتشرت في إيطاليا خلال القرن التاسع عشر منادية بتوحيد الممالك والكونتات الإيطالية وإنهاء الحكم النمساوي والنابليوني في إيطاليا، ويعدُّ المؤرخون فترة توحيد إيطاليا من مؤتمر فيينا 1815 إلى الحرب الفرنسية البروسية .1871 تكونت لجنة جمهورية في المملكة الإيطالية التابعة للحكم النابليوني، وبدأت الجماعات المطالبة بالوحدة بتأجيج المشاعر القومية في مناطق إيطاليا ضد الهاسبرغيين في النمسا والفرنسيين، خاصة بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥. استطاع الإيطاليون التخلص من الحكم الفرنسي، لتصبح الإمبراطورية النمساوية عدوهم الوحيد. دعم العديد من العلماء والمفكرين الإيطاليين في كافة أنحاء أوروبا الوحدة الإيطالية، ولكن النمسا استعملت كافة أنواع القمع لمنع تلك الوحدة. اتضح ذلك في كلمة المستشار النمساوي في مؤتمر فيينا الذي أنكر وجود إيطاليا بقوله "إن كلمة إيطاليا ما هي إلا مصطلح يعبر عن مكان جغرافي فقط"،[٤] ولكن أخيرًا وفي عام1871 ، توحّدت إيطاليا وأعلنت روما عاصمةً لها.

مع بداية سقوط نابليون، حاول الملوك الذين نصبهم نابليون الحفاظ على عروشهم عن طريق تغذية المشاعر القومية، الأمر الذي مهد الطريق للثورات القادمة. كان من بين هؤلاء حاكم إيطاليا يوجين دو بوارنيه، الذي حاول الحصول على موافقة الإمبراطورية النمساوية على توليه عرش مملكة إيطاليا، ويواكيم مورات الذي دعا الوطنيين الإيطاليين لتوحيد إيطاليا تحت حكمه. بعد هزيمة فرنسا النابليونية، عقد مؤتمر فيينا (1815) لإعادة رسم خريطة القارة الأوروبية .في إيطاليا، عاد الوضع لما كان عليه قبل الحقبة النابليونية، وكانت الدويلات إما محكومة مباشرة أو متأثرة بشدة بالقوى الأوروبية السائدة، وخاصةً النمسا. في ذلك الوقت، كان ينظر إلى النضال من أجل الوحدة الإيطالية على أنه تمرد على الإمبراطورية

النمساوية وعائلة هابسبورغ، نظراً لأنها سيطرت بشكل مباشر على أغلب المناطق الناطقة بالإيطالية في شمال شرق إيطاليا الحالية، كما كانت أهم قوة تقف ضد توحيد إيطاليا. قمعت الإمبراطورية النمساوية بقسوة الشعور الوطني المتنامي في شبه الجزيرة الإيطالية.

واجه المنادون بتوحيد إيطاليا معارضة أيضًا من الكرسي الرسولي، خاصةً بعد فشل محاولات التوسط للإتحاد مع الولايات البابوية، والذي من شأنه أن يمنح الولايات البابوية قدرًا من الحكم الذاتي في المنطقة. خشي البابا بيوس التاسع من أن تخليه عن السلطة في هذه المنطقة، قد يؤدي لاضطهاد الكاثوليك الطليان.حتى بين المؤيدين للوحدة، وجدت خلافات حول شكل الدولة الموحدة. اقترح القس فينتشنزو جيوبيرتي وهو قس من بييدمونت ، اتحادًا كونفدراليًا بين الدول الإيطالية تحت حكم البابا. نشر كتابه "التفوق المعنوي والمدني للإيطاليين" في عام ١٨٤٣، حيث شكل رابطًا بين البابوية وتوحيد إيطاليا. أراد الكثير من زعماء الثوار تأسيس جمهورية، ولكن في نهاية المطاف استطاع فيكتور عمانويل الثاني ورئيس وزرائه كافور توحيد الدول الإيطالية تحت حكم نظام ملكي.

كان جوزيبي مازيني وجوزيبي غاريبالدي من بين الشخصيات الراديكالية البارزة التي شاركت في حركة التوحيد. بينما شملت الشخصيات الملكية المحافظة الكونت كافور وفيكتور ايمانويل الثاني، الذي سيصبح فيما بعد أول ملك لإيطاليا الموحدة.

تمرد الصقليتين: في عام ١٨٢٠، ثار الإسبان مطالبين بتعديلات دستورية ونجحوا في تحقيقها، الأمر الذي شجع الحركة الثورية في إيطاليا. وكما فعل الإسبان، (الذين وضعوا دستورهم عام ١٨١٢) تمرد فوج من جيش مملكة الصقليتين بقيادة غوليليلمو بيبي وهو من الكاربوناري، ونجح في احتلال شبه الجزيرة الواقعة داخل حدود المملكة. وافق الملك فرديناند الأول على سن دستور جديد. على الرغم من ذلك، فشل الثوار في حشد الدعم الشعبي، وتراجعوا أمام جنود التحالف المقدس النمساويين. ألغى فرديناند الأول الدستور، وبدأ اضطهادًا منهجيًا ضد الثوريين المعروفين. تم نفي العديد من مؤيدي الثورة في صقلية، بما في ذلك الباحث ميشيل أماري خلال العقود التالية.

تمرد بيدمونت: كان سانتوري دي سانتاروسا زعيمًا للحركة الثورية في بيدمونت عام ١٨٢٣، والذي دعا إلى طرد النمساويين وتوحيد إيطاليا تحت حكم آل سافوي .بدأ التمرد في بيدمونت في ألساندريا، حيث اعتمدت القوات علم الجمهورية الألبية ذي الثلاث ألوان الأخضر والأبيض والأحمر) علم إيطاليا (علمًا لها. أثناء سفر الملك تشارلز فيليكس، وافق نائب الملك الأمير تشارلز ألبرت، على دستور جديد لاسترضاء الثوار، وهو ما تنصل منه الملك عند عودته، وطلب المساعدة من التحالف المقدس.هُزمت قوات دي سانتاروسا، وفر الثوار البييدمونتيون إلى باريس.

تمرد ١٨٣٠م: في عام ١٨٣٠، بدأت الحياة تدب من جديد في المشاعر الثورية لصالح توحيد إيطاليا، ووضعت سلسلة التمردات الأساس لإنشاء دولة واحدة على طول شبه الجزيرة الإيطالية. كان فرانسيس الرابع دوق مودينا، نبيلاً طموحًا طمع في أن يصبح ملكًا على شمال إيطاليا، من خلال ضمه للمزيد من الأراضي. وفي عام ١٨٢٦، أعلن فرانسيس أنه لن يتحرك ضد الثوار الساعين لتوحيد إيطاليا، مما شجع الثوار في المنطقة وبدأوا في تنظيم صفوفهم. خلال ثورة يوليو ١٨٣٠ في فرنسا، أجبر الثوار الملك على التنازل، وشكلوا ملكية يوليو بتشجيع من الملك الفرنسي الجديد لويس فيليب. كان لويس فيليب قد وعد الثوار مثل سيرو مينوتي بأنه سيتدخل إذا حاولت النمسا التدخل بقواتها في إيطاليا. على الرغم من ذلك، وخوفًا على عرشه، لم يتدخل لويس فيليب في انتفاضة مينوتي المزمعة. تخلى دوق مودينا عن أنصاره من الكاربوناري، وألقي القبض علي مينوتي والمتآمرين الآخرين في عام ١٨٣١. ومرة أخرى سيطر على الدوقية من جديد بمساعدة من القوات النمساوية. أعدم مينوتي، وتلاشت فكرة الثورة في مدينة مودينا. في الوقت نفسه، نشأت حركات تمرد أخرى في الولايات البابوية في بولونيا وفورلي ورافينا وإيمولا وفيرارا وبيزارو وأوربينو .أعلنت هذه الثورات الناجحة والتي اعتمدت العلم ثلاثي الألوان بدلاً من العلم البابوي، وسرعان ما انتشرت هذه الحركات لتشمل كامل الدولة البابوية، وأعلنت الحكومات المحلية الحديثة إنشاء الأمة الإيطالية المتحدة.

شجعت تلك الثورات في مودينا والمفوضيات البابوية نشاطًا مماثلاً في دوقية بارما، حيث اعتمد العلم ثلاثي الألوان، وغادرت ماري لويز دوقة بارما المدينة خلال الاضطرابات السياسية. خططت المقاطعات المتمردة لتشكيل اتحاد المقاطعات

الإيطالية، مما دفع البابا غريغوري السادس عشر لطلب المساعدة النمساوية ضد المتمردين. حذر فون مترنيش لويس فيليب أن النمسا ليس لديها نية لترك الشؤون الإيطالية دون تدخل، وأن التدخل الفرنسي لن يكون مقبولاً . حجب لويس فيليب أي مساعدة عسكرية واعتقل الوطنيين الإيطاليين الذين يعيشون في فرنسا. في ربيع عام ١٨٣١، بدأ الجيش النمساوي مسيره عبر شبه الجزيرة الإيطالية، وسحق المقاومة ببطء في كل مقاطعة قامت بالثورة. قمع هذا العمل العسكري أغلب الحركة الثورية الوليدة، وأسفر عن اعتقال العديد من الزعماء الراديكاليين، بما في ذلك مينوتي.

☒ ثورات ١٨٤٨-١٨٤٩م:

في عام ١٨٤٨، بدأت الاضطرابات الثورية في ٥ يناير بالعصيان المدني في لومبارديا، حيث امتنع المواطنون عن التدخين، الأمر الذي قطع الإيرادات الضريبية المرتبطة بها عن النمسا. وبعد فترة قصيرة، بدأ التمرد في جزيرة صقلية ونابولي ضد الملك فرديناند، الذي تولى العرش عام ١٨٢١ وأعلن الدستور في مملكة الصقليتين، وأفرج عن السجناء السياسيين. وفي فبراير ١٨٤٨، قامت الثورات في توسكانا والتي كانت سلمية نسبيًا، وبعدها منح فرديناند دستورًا للتوسكانيين. تشكلت حكومة جمهورية منشقة مؤقتة في توسكانا خلال فبراير، بعد فترة قصيرة من هذا الامتياز. في ٢١ فبراير سنّ البابا بيوس التاسع دستورًا للدويلات البابوية، الأمر الذي لم يكن متوقعًا ومفاجئًا على حد السواء، نظرًا للتعنت التاريخي للبابوية. في ٢٣ فبراير إضطر الملك الفرنسي لويس فيليب إلى الفرار من باريس، وأعلنت الجمهورية. وبحلول ذاك الوقت الذي وقعت فيه الثورة في باريس، أعلنت ثلاث دويلات إيطالية دساتيرها أو أربعة إذا ما أخذنا في الاعتبار صقلية كدولة مستقلة.

في الوقت نفسه، ارتفعت حدة التوتر في لومبارديا، حتى ثار سكان ميلان والبندقية في ثورة ١٨ مارس ١٨٤٨. نجح التمرد في ميلانو في طرد الحامية النمساوية بعد خمسة أيام من معارك الشوارع. ضرب الجيش النمساوي بقيادة المارشال جوزيف راديتزكي حصارًا على ميلان، ولكن بسبب صمود أهل ميلان، إضطر إلى الانسحاب. بعدها، إضطر تشارلز ألبرت ملك سردينيا إلى الوقوف بجانب البندقية وميلان بضغط من ثوار المدينتين، حيث قرر حينها أن هذه هي

اللحظة المناسبة لتوحيد إيطاليا، وأعلن الحرب على النمسا. بعد بعض الانتصارات في البداية في جويتو وبيسكييرا، هُزم هزيمة ساحقة في معركة كوستوزا في ٢٤ يوليو على يد رادتزكي. وقّع تشارلز ألبرت على الهدنة وتفرغ رادتزكي لاستعادة السيطرة على كل لومبارديا واستعادة البندقية نفسها، حيث أعلنت جمهورية سان ماركو بقيادة دانييل مانين. بينما كان رادتزكي يُحكم سيطرته على لومبارديا، ضمد تشارلز ألبرت جروحه، وبدأت الأمور تأخذ منحى أكثر جدية في أجزاء أخرى من إيطاليا. دخل الملوك الذين أقروا على مضض إعلان الدساتير في مارس إلى حيز الصراع مع وزرائهم الدستوريين، مما أدى في كثير من الأحيان إلى الصدام المباشر. في البداية، كانت للجمهوريات اليد العليا، مما أضطر الملوك إلى الفرار من عواصمهم، بما في ذلك البابا بيوس التاسع.

حرب ١٨٥٩م: على الرغم من الهزيمة الساحقة التي تعرض لها تشارلز ألبرت في محاولته لطرد النمساويين من إيطاليا، فإن البييدمونتيين لم يتخلوا تمامًا عن طموحاتهم .كاميلو دي كافور، الذي أصبح رئيسًا لمجلس الوزراء في عام ١٨٥٢، كان أيضًا صاحب طموحات توسعية. رغم ذلك رأى كافور أن بيدمونت لن تكون قادرة على التوسع بمفردها. بدلاً من ذلك، أعرب عن أمله في الحصول على مساعدات من بريطانيا وفرنسا لطرد النمساويين من شبه الجزيرة الإيطالية. لكي يكسب دعم بريطانيا وفرنسا، قام كافور بدعمهم في حرب القرم التي دخلتها بيدمونت في عام ١٨٥٥. فشلت تلك المحاولة حيث تم تجاهل الدور الإيطالي في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦. رغم ذلك كانت الحرب ذات فائدة عظيمة للإيطاليين، وهو أنها تركت النمسا في عزلة نتيجة محاولتها تحقيق التوازن بين طرفي النزاع.

في ١٤ يناير ١٨٥٨، حاول فيليس أورسيني وهو من الإيطاليين القوميين، اغتيال نابليون الثالث الإمبراطور الفرنسي. ومن زنزانته، كتب أورسيني أنه لم يطلب الصفح لحياته وأنه قبل بالموت لدوره في محاولة الاغتيال الفاشلة، لكنه بدلا من ذلك استجدى نابليون الثالث تحقيق مصيره بدعم القوى القومية الإيطالية. اقتنع نابليون، الذي كان قد عضواً في الكاربوناري في شبابه، بأنه مفكر تقدمي، وانسجامًا مع تلك الفكرة، فقد أصبح على قناعة أن وجب عليه أن يفعل شيئاً لإيطاليا. وفي صيف عام ١٨٥٨ اجتمع كافور بنابليون الثالث في بلومبيه، ووقّعا اتفاقًا سريًا

عرف باسم ميثاق بلومييه .شمل ذاك الاتفاق على حرب مشتركة ضد النمسا، حيث تحصل بييدمونت على الأراضي النمساوية في إيطاليا، فضلاً عن دوقيات بارما وموديناء على أن تضم فرنسا أراضي بييدمونت في الألب) سافوي ونيس .(ولاعتبارهم وسط وجنوب إيطاليا في حالة من التخلف مقارنة بالشمال، فلم يتركز الاهتمام بتلك الأراضي. كما أشيع أن ابن عم الإمبراطور الأمير نابليون سيعتلي عرش أسرة هابسبورغ في توسكانا .كان على كافور استفزاز النمساويين بغية إتاحة الفرصة للتدخل الفرنسي دون أن يبدو كمعتدين، من خلال تشجيع النشاط الثوري في لومبارديا.

في البداية، لم تجر الأمور وفق الخطة المقترحة. كان النمساويون، الجاهلين بالاتفاق السري في بلومبيه، صبورين للغاية وبشكل يثير الفضول في تعاملهم مع التمرد المدعوم من بييدمونت. بالتالي كان حشد قوات بييدمونت في مارس من عام ١٨٥٩ ، يعد نوعًا من القبول بالهزيمة حيث بدا أن استراتيجية استفزاز النمساويين قد فشلت. ولكن بدون العدوان النمساوي، لا يمكن للفرنسيين التدخل، وبدون الدعم الفرنسي، لم يكن كافور ليخاطر بالحرب. في هذا الوقت، سهل النمساويون من مهمة خصومهم بإرسالهم إنذاراً لبييدمونت بإلغاء تعبئة القوات. وهنا أصبحت جاءت بييدمونت الفرصة، فرفضت هذا الإنذار، وبذلك تبدو النمسا معتدية، مما يسمح بالتدخل الفرنسي. كانت الحرب نفسها قصيرة نوعًا ما. لم يكن التقدم النمساوي في بيدمونت بالجيد، ولم يستطيعوا تأمين ممرات جبال الألب قبل وصول الجيش الفرنسي الذي قاده نابليون الثالث شخصيًا. وفي ٤ يونيو، انتصر الفرنسيون والسردينيون في معركة ماجينتا على الجيش النمساوي بقيادة الكونت غيولاي، مما أدى إلى انسحابهم من معظم لومبارديا، ودخول كل من نابليون وفيكتور عمانويل ميلان منتصرين. وفي ٢٤ يونيو، اندلعت معركة سولفرينو ثاني المعارك بين الجيشين، والتي شهدت اشتباكًا دمويًا قاد الجانب النمساوي فيه الإمبراطور فرانز جوزيف، ورغم ضعف خبرة قواد الجانبين، إلا أن الفرنسيين انتصروا مرة أخرى. انسحب النمساويون إلى ما وراء حدود البندقية.

هناك أسباب كثيرة دعت نابليون الثالث لطلب الصلح في هذه المرحلة. كان خوفه من الحاجة إلى حملة طويلة ودموية للتغلب على البندقية، وعلى عرشه في

فرنسا، ومن تدخل الولايات الألمانية، والخوف من أن تصبح بييدمونت – سردينيا قوية. كل ذلك دفع بنابليون للبحث عن وسيلة للخروج. وفي يوليو، اجتمع على انفراد مع فرانز جوزيف في فيلافرانكا، دون علم حلفائه البييدمونتيين، واتفقا على الخطوط العريضة لتسوية النزاع. بموجب الاتفاق، تحتفظ النمسا بالبندقية، ولكن تتنازل عن لومباردي لصالح فرنسا، التي ستتنازل عنها على الفور لبييدمونت، وعدا ذلك فإن الحدود الإيطالية لن تتغير. وفي وسط إيطاليا، حيث حدث التمرد على السلطات المحلية في أعقاب اندلاع الحرب، يعود حكام توسكانا وموديا وبارما إلى أملاكهم، التي هربوا منها إلى النمسا، في حين تستأنف البابوية سيطرتها على مفوضياتها. ولأن نابليون لم يف بشروط اتفاقه مع بيدمونت، فإنه لن يحظى بسافوي ونيس. غضبت سردينيا من هذه الخيانة من قبل حليفها. طالب كافور أن تستمر الحرب، واستقال عندما قرر فيكتور عمانوئيل القبول بالنتائج كونها الخيار الواقعي الوحيد. لكن اتفاق فيلافرانكا، أثبت أنه حبر على ورق حتى قبل إضفاء الطابع الرسمي عليه في معاهدة زيوريخ في نوفمبر احتلت قوات بييدمونت الدويلات الإيطالية، توحدت توسكانا وبارما وموديا والمفوضيات البابوية ضمن المقاطعات المتحدة في إيطاليا الوسطى، وبتشجيع من بريطانيا سعوا للانضمام إلى مملكة سردينيا. عاد كافور منتصرًا إلى السلطة في يناير ١٨٦٠. وفي ٢٠ مارس ١٨٦٠، شملت مملكة سردينيا معظم شمال ووسط إيطاليا.

☒ هزيمة مملكة نابولي

رغم سيطرة غاريبالدي بسهولة على العاصمة، فإن جيش نابولي لم ينضم إلى التمرد بشكل جماعي، بل حافظ على مواقعه على طول نهر فولتورنو .لم تستطع قوات غاريبالدي غير النظامية البالغ عددها حوالي ٢٥,٠٠٠ جندي، طرد قوات الملك أو السيطرة على حصني كابوا وجيتا دون مساعدة من جيش سردينيا. لكن جيش سردينيا لن يصل إلا عبر الدولة البابوية، والتي تمتد عبر كامل مركز شبه الجزيرة. تجاهل غاريبالدي الإرادة السياسية للكرسي الرسولي، وأعلن عن نيته إعلان "مملكة إيطاليا" من روما، عاصمة البابا بيوس التاسع .اعتبر البابا هذا الأمر بمثابة تهديد للكنيسة الكاثوليكية، وهدد بحرمان هؤلاء الذين يساندون هذا الأمر. دفع الخوف من مهاجمة غاريبالدي لروما بالكاثوليك من جميع أنحاء العالم للتبرع بالمال

والمتطوعين للجيش البابوي، الذي قاده الجنرال لويس لاموريسيير الذي كان منفيًا في فرنسا.

كانت الأمر على رأي لويس نابليون، حيث إذا سمح الإمبراطور الفرنسي لغاريبالدي بالعبور، فسينهي ذلك سيادة البابا الزمنية، ويجعل من روما عاصمة لإيطاليا. مع ذلك، يبدو أن نابليون قد رتب الأمر مع كافور للسماح لملك سردينيا بالاستيلاء على نابولي وأومبريا والمحافظات الأخرى، شريطة ترك روما و"إرث القديس بطرس " سليمًا. تألفت القوة السردينية من فيلقين اثنين بقيادة كل من فانتي وسيالديني اللذان سارا إلى حدود الدولة البابوية مستهدفين نابولي وليس روما. تقدمت القوات البابوية بقيادة لاموريسيير ضد سيالديني، ولكنهم هزموا بسرعة وحوصروا في حصن أنكونا، واستسلموا في النهاية في ٢٩ سبتمبر. وفي ٩ أكتوبر، وصل فيكتور عمانويل الثاني لتولى القيادة، في الوقت الذي لم يعد هناك جيش بابوي ليقف في وجهه، فتابع المسير جنوبًا دون معارضة.

☒ المسألة الرومانية

لم يكن مازيني مرتاحًا لاستمرار الحكومة الملكية، واستمر في التحرك من أجل الجمهورية، رافعًا شعار "حرة من الألب إلى الأدرياتيكي ."وضعت حركة التوحيد روما والبندقية نصب عينيها، رغم ذلك كان هناك عقبات. أثار تحدي سلطة البابا الزمنية غضب الكاثوليك في مختلف أنحاء العالم، كما تمركزت قوات فرنسية في روما. كان فيكتور عمانويل حذرًا من التداعيات الدولية للهجوم على الولايات البابوية، وحذر رعاياه من المشاركة في الثورات بمثل هذه النوايا. رغم ذلك اعتقد غاريبالدي أن الحكومة ستدعمه إذا هاجم روما، ولشعوره بالإحباط لعدم تحرك الملك، نظم حملة جديدة. في يونيو ١٨٦٢، أبحر من جنوى إلى باليرمو، حيث جمع المتطوعين لحملته تحت شعار "روما أو الموت". منعت حامية ميسينا الموالية للملك عبورهم إلى البر الرئيسي، مما دفع قوة غاريبالدي البالغ عددها الآن ٢,٠٠٠ رجل، إلى الاتجاه جنوبًا، وأبحرت من كاتانيا .أعلن غاريبالدي أنه سيدخل روما منتصرًا أو سيموت على جدرانها. نزل غاليباردي في ميليتو في ١٤ أغسطس، وتقدم مباشرة نحو جبال كالابريا.

☒ حرب الاستقلال الثالثة ١٨٦٦م:

في الحرب البروسية النمساوية في عام ١٨٦٦، تنازعت مملكتا بروسيا والنمسا على قيادة الدويلات الألمانية. انتهزت مملكة إيطاليا الفرصة لضم البندقية من الحكم النمساوي، وتحالفت مع بروسيا. حاولت النمسا إقناع الحكومة الإيطالية بقبول البندقية في مقابل عدم التدخل .مع ذلك أعلنت إيطاليا في ٨ أبريل توقيع اتفاق مع بروسيا، حيث تدعم فيه الأخيرة حصول إيطاليا على البندقية. في يوم ٢٠ يونيو، أعلنت مملكة إيطاليا الحرب على النمسا. في سياق توحيد إيطاليا، تسمى الحرب البروسية النمساوية حرب الاستقلال الثالثة، حيث الأولى عام (١٨٤٨) والثانية عام ١٨٥٩سارع فيكتور ايمانويل إلى قيادة الجيش عبر نهر مينشيو لغزو البندقية، بينما كان على غاريبالدي غزو تيرول مع فرقته صيادي الألب .انتهت الحملة بكارثة حيث واجه الجيش الإيطالي نظيره النمساوي في ٢٤ يونيو في معركة كستوزا ومني بالهزيمة. وفي ٢٠ يوليو، هزم الأسطول الملكي الإيطالي في معركة ليسا ، حيث دمر النمساويون تمامًا السفن الإيطالية. رغم ذلك، لم تكن حظوظ إيطاليا كلها سيئة. ففي اليوم التالي، انتصر متطوعوا غاريبالدي على القوة النمساوية في معركة بيزيكا، وتحركوا نحو ترينتو.

☒ مينتانا وفيلا غلوري

كان هدف الحزب الوطني بزعامة غاريبالدي هو ضم روما، نظرًا لكونها العاصمة التاريخية لشبه الجزيرة. حاول غاريبالدي في عام ١٨٦٧ ثانيةً الاستيلاء على روما، لكن الجيش البابوي معززًا بقوة إضافية فرنسية تمكن من الانتصار على جيش المتطوعين سيء التجهيز الذي حشده غاريبالدي في موقعة مينتانا. نتيجة لذلك مكثت الحامية الفرنسية في تشيفيتافيكيا حتى أغسطس ١٨٧٠، عندما استدعيت لفرنسا عقب اندلاع الحرب الفرنسية البروسية. قبل الهزيمة في مينتانا، قام إنريكو كايرولي وشقيقه جيوفاني بالإضافة إلى ٧٠ من رفاقهم، بمحاولة جريئة للسيطرة على روما. انطلقت المجموعة من تيرني وسارت مع مجرى نهر التيبر. كانت الخطة تقتضي أن يتزامن وصولهم إلى روما مع انتفاضة داخل المدينة. في يوم ٢٢ أكتوبر ١٨٦٧، استولى الثوار داخل روما على تلة الكابيتول وساحة كولونا. لكن لسوء حظ كايرولي ومرافقيهم، وعند وصولهم إلى فيلا غلوري، على

المشارف الشمالية لروما، كانت الانتفاضة قد قمعت. وخلال ليلة ٢٢ أكتوبر ١٨٦٧، حوصر المهاجمون من قبل الجيش البابوي، وأصيب جيوفاني بجروح خطيرة. بينما أصيب إنريكو بجروح قاتلة، ونزف حتى الموت بين يدي جيوفاني.

☒ سقوط روما:

في يوليو ١٨٧٠، اندلعت الحرب الفرنسية البروسية .وفي أوائل أغسطس، استدعى الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث حاميته في روما، وبالتالي رفع الحماية عن الدولة البابوية. انطلقت مظاهرات عامة واسعة النطاق تطالب الحكومة الإيطالية بضم روما. لم تتخذ الحكومة الإيطالية أي إجراء مباشر حتى انهيار الإمبراطورية الفرنسية الثانية في معركة سيدان .أرسل الملك فيكتور عمانويل الثاني الكونت غوستافو بونزا دي سان مارتينو إلى البابا بيوس التاسع مع رسالة شخصية تقدم اقتراحًا لحفظ ماء الوجه، من شأنه أن يسمح بدخول سلمي للجيش الإيطالي إلى روما، تحت ستار توفير الحماية للبابا. عبر الجيش الإيطالي بقيادة الجنرال رافاييل كادورنا الحدود البابوية في ١١ سبتمبر، وتقدم ببطء نحو روما على أمل التفاوض والدخول السلمي. وصل الجيش الإيطالي إلى الأسوار الأوريلية في ١٩ سبتمبر، وضرب حصارًا على روما. رفض بيوس التاسع الاستسلام ودفع قواته لمقاومة كانت رمزية. اخترقت الجدران في بورتا بيا، ودخل البيرسا غلييري روما، وساروا عبر فيا بيا، التي تغير اسمها لاحقًا لهذا السبب إلى "فيا ٢٠ سبتمبر". قتل ٤٩ جنديًا وأربعة من ضباط الجيش الإيطالي، بينما قتل ١٩ جنديًا بابويًا. تم ضم كل من روما ولاتيوم لمملكة إيطاليا بعد الاستفتاء الذي أجري في ٢ أكتوبر، وقبلت نتائج هذا الاستفتاء في ٩ أكتوبر. في البداية، قدمت الحكومة الإيطالية عرضًا يسمح للبابا بالاحتفاظ بمدينة ليونين .لكن البابا رفض هذا العرض، لأن القبول به يعني ضمنيًا قبوله بشرعية حكم المملكة الإيطالية لمملكته السابقة. أعلن بيوس التاسع نفسه سجينًا في الفاتيكان، على الرغم من عدم تقييد حركته. بدلاً من ذلك، تم عزله وتجريده من الكثير من سلطاته السابقة، أزيل قدرًا من حمايته الشخصية، حيث أنه إذا سار في شوارع روما، قد يكون في خطر من المعارضين السياسيين الذين كانوا قد حافظوا على آرائهم سرًا خلال حكمه. لم تنتقل العاصمة رسميًا من فلورنسا إلى روما حتى يوليو ١٨٧١.

الوحدة الألمانية

هي عملية اتحاد مجموعة من الولايات في إطار دولة قومية تمت رسميا في ١٨ يناير ١٨٧١ في قاعة المرايا بقصر فيرساي في فرنسا بدفع من رئيس الوزراء الألماني آنذاك أوتو فون بسمارك. توافد أمراء الولايات الألمانية على القصر ليعلنوا فيلهلم الأول ملك بروسيا إمبراطور الإمبراطورية الألمانية بعد استسلام فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية .يمثل توحيد ألمانيا في ١٨٧١ لحظة واحدة فقط في عمليات التوحيد التي شهدتها الولايات الألمانية فيما بينها والتي دامت أكثر من قرن قبل الإعلان الرسمي في ١٨٧١ بسبب الفوارق الدينية واللغوية والثقافية بين سكان البلاد الفدرالية الجديدة.

انتهت الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الجرمانية من الوجود حينما تنازل الإمبراطور فرانسيس الثاني عن العرش (٦ أغسطس ١٨٠٦) خلال الحروب النابوليونيةعلى الرغم من التشتت القانوني والإداري والسياسي الذي عقب نهاية الإمبراطورية، تشارك سكان المناطق الناطقة باللغة الألمانية من الإمبراطورية القديمة في تقاليد لغوية وثقافية وقانونية ازدادت خلال خبرتهم المشتركة في حروب الثورة الفرنسية والحروب النابوليونية .وفرت الليبرالية الأوروبية أساسا فكريا للتوحيد عبر تحدي الأنظمة السلالية والمطلقة للتنظيم الاجتماعي والسياسي وركز فرعها الألماني على أهمية التقاليد والتربية والوحدة اللغوية بين سكان منطقة جغرافية. أما اقتصاديا، أدى الزولفيرين البروسي الاتحاد الجمركي الألماني (في ١٨١٨ وتوسعه اللاحق ليشمل ولايات أخرى من الاتحاد الألماني إلى تقليص التنافس بين داخل هذه الولايات. سهلت أنظمة النقل الناشئة ممارسة الأعمال التجارية والسفر الترفيهي وقادت إلى تحقيق التواصل بين الناطقين بالألمانية في جميع أنحاء أوروبا الوسطى. قوّى نموذج مناطق النفوذ الدبلوماسية الناتج عن مؤتمر فيينا في عقب الحروب النابوليونية شوكة الإمبراطورية النمساوية وسيطرتها على أوروبا الوسطى. لكن المفاوضات التي جرت في فيينا لم تأخذ في الحسبان القوة النامية بين الولايات الألمانية التي هي بروسيا وفشلت في التوقع بتحدي بروسيا للنمسا في

زعامة الولايات الألمانية .فقدمت هذه الازدواجية الألمانية حلين لمشكلة التوحيد الألمانية) حل ألمانيا الصغرى بدون النمسا)) حل ألمانيا الكبرى بها النمسا

يتناقش المؤرخون حول هل كان أوتو فون بسمارك وزير –رئيس بروسيا يملك مخططا لتوسيع الاتحاد الألماني الشمالي لسنة ١٨٦٦ لتشمل باقي الولايات الألمانية في دولة واحدة أم أنه سعى إلى توسيع نفوذ بروسيا فقط. استنتج المؤرخون أن عدة عوامل بالإضافة إلى قوة سياسة بسمارك الواقعية أدت إلى مجموعة من السياسات المبكرة للاعتراف بالعلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية في القرن التاسع عشر. شكل رد فعل الألمان تجاه الوحودية الدنماركية والقومية الفرنسية بؤرة للتعبير عن وحدتهم. وحققت المكاسب العسكرية (خاصة مكاسب بروسيا) في ثلاث حروب جهوية الحماسة والفخر اللذان سخرهما السياسيون لتعزيز الوحدة. استحضرت هذه التجربة ذكريات الإنجاز المتبادل في الحروب النابليونية خاصة في حرب التحرير في ١٨١٣–١٨١٤وحـ ُلت مشكلة الازدواجية، على الأقل مؤقتا، بتوحيد ألمانيا سياسيا وإداريا بدون النمسا في ١٨٧١.

بروز النزعة القومية الألمانية في إطار نظام نابليون: في عهد تفوق الإمبراطورية الفرنسية الأولى(1804–1814) ، ازدهرت الحركة القومية الألمانية في الولايات الألمانية الجديدة. ظهرت مبررات مختلفة لتحديد ألمانيا كدولة واحدة ويرجع ذلك جزئيا إلى الخبرة المشتركة (وإن كانت تحت الهيمنة الفرنسية). تمثلت المبررات للفيلسوف الألماني جوهان جوتليب فيخته في أنالحدود الأولى والأصلية والطبيعية الحقة للدول هي بدون شك الحدود الداخلية. إن الذين يتحدثون نفس اللغة مربوطون ببعضهم البعض من خلال عدة حبال غير مرئية بشكل طبيعي، وذلك منذ زمن بعيد قبل بداية الفن البشري؛ يفهمون بعضهم البعض ولهم القدرة المستمرة على جعل أنفسهم يتفاهمون أكثر فأكثر؛ ينتمون إلى كيان كامل ويشكلونه وذلك بطبعهم .يمكن للغة المشتركة أن تشكل أساسا للأمة لكن كما لاحظ المؤرخون المعاصرون لألمانيا القرن التاسع عشر، استلزم أمر توحيد عدة مئات من الأنظمة السياسية الحاكمة أكثر من تشابه لغوي.[٤] ساهمت تجربة أوروبا الوسطى الناطقة بالألمانية خلال سنوات التفوق الفرنسي في خلق وعي مشترك لطرد الغزاة الفرنسيين

واستعادة السيطرة على أراضيها. أثارت احتياجات حملة نابوليون على بولندا (1806–1807) وشبه جزيرة أيبيريا وألمانيا الغربية وغزوه الفاشل لروسيا في ١٨١٢ حفيظة الألمان، أمراء وفلاحين بينما خرب حصار نابوليون القاري اقتصاد أوروبا الوسطى. شمل غزو روسيا حوالي ١٢٥٠٠٠ مقاتل من الأراضي الألمانية وشجعت خسارة هذا الجيش الألمان (شماليين وجنوبيين) للتفكير في أوروبا وسطى خالية من نفوذ نابوليون .ولعل خير مثال على ذلك إنشاء ميليشيا التلاميذ .

إعادة تنظيم أوروبا الوسطى وظهور الازدواجية الألمانية

بعد هزم نابوليون، أقام مؤتمر فيينا نظاما أوروبيا سياسيا–دبلوماسيا جديدا يرتكز على توازن القوى .أعاد هذا النظام تنظيم أوروبا ووزعها إلى بواثق نفوذ، والتي في بعض الحالات، قمعت تطلعات بعض القوميات بمن فيهم الألمان والإيطاليون.تشكلت بروسيا المتوسعة وثمان وثلاثون ولاية أخرى من الأراضي المعوضة في ١٨٠٣ وأصبحت تابعة لمنطقة نفوذ الإمبراطورية النمساوية .أسس المؤتمر اتحادا ألمانيا رخوا (1815–1866) تترأسه النمسا ويتكون من مجلس فدرالي سمي بوندستاغ مقره في مدينة فرانكفورت أم ماين .تقديرا للمكانة الإمبراطورية التي تبوأها من قبل الهابسبورغ، أصبح أباطرة النمسا الرؤساء الفخريين لهذا البرلمان. أقلق تحرك المنظمات الطلابية القادة المحافظين مثل الأمير كليمنس فون مترنيش وجعلهم يتخوفون من تصاعد الحس القومي ومن جهة أخرى دفع اغتيال المسرحي الألماني أوغوست فون كوتزيبو في مارس ١٨١٩ على يد طالب متطرف وحودي إلى إقرار مراسيم كارلسباد في ٢٠ سبتمبر ١٨١٩ التي أعاقت القيادة الفكرية للحركة القومية تمكن مترنيش من إقناع المحافظين على ضرورة تعزيز التشريعات لتقييد الصحافة والحد من تصاعد الحركات الليبرالية والقومية بعد الاغتيال. نتيجة لذلك، قضت هذه المراسيم على البورشنشافت وقلصت عدد الكتب القومية المنشورة ووسعت الرقابة على الصحافة والمراسلات الخاصة وحدت من الخطاب الأكاديمي عبر منع أساتذة الجامعات من الخوض في النقاشات القومية. ناقش يوهان جوزيف غورس المراسيم في كتيبه ألمانيا والثورة .

ساعد الاتحاد الجمركي على خلق شعور كبير بالارتباط الاقتصادي. تشكل الزولفيرين في البدء كاتحاد جمركي بروسي في ١٨١٨ على يد وزير التمويل البروسي هانز كونت فون بولوف ثم ربط بين الممتلكات البروسية والهوهنتسولرنية وعلى مر أكثر من ثلاثين سنة انضمت ولايات ألمانية أخرى إلى الاتحاد. أزال الاتحاد الحواجز الحمائية بين الولايات الألمانية خصوصا بتحسين تنقل المواد الخام والسلع المصنوعة وجعل من مرور البضائع سهلا في الحدود ومن ثمن شراء ونقل وبيع المواد الخام أرخص. ظهرت نتائج الاتحاد الجمركي جلية في تطور المراكز الصناعية والتي أغلبها يقع في وديان الراينلاند والسار والرور.

أصبحت فترة الدولة البوليسية في النمسا وبروسيا والرقابة الكبيرة قبل ثورات ١٨٤٨ في ألمانيا تعرف لاحقا باسم فورمارز أو ما قبل مارس) بالألمانية في إشارة إلى شهر مارس في سنة ١٨٤٨. خلال هذه الفترة، تزايد نشاط الليبرالية الأوروبية وتضمنت أجندتها القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. رأى معظم الليبراليين الأوروبيين في ما قبل مارس التوحيد بمبادئ وطنية وشجعوا على التحول إلى الرأسمالية وسعوا نحو تحقيق حق التصويت للذكور وقضايا أخرى. اعتمدت حسهم الراديكالي على تعريف حق الاقتراع: وحق الاقتراع للذكور كان تعريفهم.

ارتبطت أفكار التوحيد بمبادئ السيادة الشعبية في الأراضي الناطقة بالألمانية رغم ردود فعل المحافظين الواضحة. ارتاد مهرجان هامباخ في مايو ١٨٣٢ ما يزيد عن ٣٠٠٠٠ شخص أصبح المهرجان فيما بعد معرضا للمقاطعة حيث يتوافد المشاركون فيه للاحتفال بمبادئ الأخوة والحرية والوحدة الوطنية. يجتمع المشاركون في بلدة هامباخ ثم يسيرون نحو أنقاض قلعة هامباخ الواقعة أعلى البلدة في مقاطعة بالاتينات البافارية حاملين الأعلام وقارعين الطبول وهم يغنون. كان المشاركون يمشون من بداية النهار حتى منتصفه ليصلوا إلى الأنقاض حيث يستمعون إلى خطب القوميين من محافظين وراديكاليين. اقترحت الخطب في محتواها اختلافا أساسيا بين الحركة القومية الألمانية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر والحركة القومية الفرنسية في ثورة يوليو :كان هم القوميين الألمان تعليم الشعب وحين سيتعلم الشعب ماذا يحتاج إليه أو ينقصه، سيحققه. شددت بلاغة

وفصاحة خطباء همباخ على الطابع العام السلمي للحركة القومية الألمانية: الهدف لم يكن بناء حواجز، الشكل الفرنسي للقومية، بل مد جسور عاطفية بين المجموعات .

افتقدت كل من مظاهرة وارتبرغ في ١٨١٧ ومهرجان هامباخ في ١٨٣٢ إلى أي برنامج واضح للتوحيد. في هامباخ، عرضت مواقف الخطباء المتعددين برامج متباينة. كان القاسم المشترك الوحيد بينهم هو فكرة التوحيد ولم تتضمن نواياهم خططا معينة حول كيفية تحقيق هذا التوحيد بل مجرد فكرة غامضة تتمثل في أنه إذا كان تعني الشعب متعلما بشكل جيد وواعيا فسيحقق لنفسه ولوحده التوحيد. ولا تعني خطب فضفاضة وأعلام وطلاب مندفعون ووجبات غذاء في نزهات جهازا سياسيا وإداريا وبيروقراطيا جديدا. وللإضافة فقط، لا تظهر الدساتير من عدم لذلك كثر في ذلك الوقت الحديث عن الدساتير. وبالفعل، فكر القوميون في حل لهذا المشكل في ١٨٤٨.

هدفت ثورات ١٨٤٨-١٨٤٩ المتفرقة في ألمانيا تحقيق التوحيد. فضغط الثوار على حكومات عدة ولايات، وخصوصا في الراينلاند، لتأسيس برلمان سيكون من اختصاصه سن دستور. أساسا، عقد الثوار اليساريون آمال حول إمكانية إقرار حق الاقتراع للذكور في الدستور واستحداث برلمان وطني وتحقيق ألمانيا موحدة وكان المرشح الأبرز لقيادتها هو ملك بروسيا وتتمثل الأسباب في ذلك في أن بروسيا كانت أكبر الولايات مساحة وأقواها. أما الثوار من يمين الوسط فسعوا نحو توسيع حق الاقتراع في ولاياتهم ومبدئيا تحقيق شكل رخو من التوحيد. نتج عن هذه الضغوطات عدة انتخابات، مبنية على أنماط مختلفة من شروط الاقتراع، مثل حق الاقتراع ثلاثي الدرجات البروسي والذي منح لبعض المجموعات الانتخابية والمتمثلة في الأثرياء سلطة تمثيلية واسعة .

في أبريل ١٨٤٩ منح برلمان فرانكفورت لقب قيصر أو إمبراطور لملك بروسيا فريدريك رفض الملك اللقب لعدة أسباب كان الرسمي منها أنه لن يقبل تاجا دون موافقة الولايات التي سيحكمها وعنى بذلك حكام تلك الولايات. أما السبب الخفي كان خوفه من معارضة أمراء الولايات الأخرى ومن تدخل عسكري روسي أو نمساوي كما أنه لم يرض بفكرة تقبل تاج سيمنحه له برلمان منتخب شعبيا رغم

متطلبات وشروط حق الاقتراع ثلاثي الدرجات والتي فاقمت مشاكل السيادة والمشاركة السياسية والتي حاول الليبراليون التغلب عليها، فقد حقق برلمان فرانكفورت عدة مكاسب أهمها سن الدستور والتوصل إلى حل ألمانيا الصغرى للمسألة الألمانية. فشل البرلمان في تحقيق الهدف الأكبر وهو التوحيد لكن فشله كان جزئيا فقد عمل الليبراليون على عدة مواضيع دستورية وإصلاحات مشتركة بين الأمراء الألمان. خلقت نجاحات وإخفاقات برلمان فرانكفورت نقاشات دامت لعقود بين مؤرخي الماضي الألماني وساهمت في تفسيرات جيوتاريخية لتشكل الأمة الألمانية. برزت مدرسة فكرية بعد ١٩١٨ واكتسبت زخما بعد الحرب العالمية الثانية زعمت أن إخفاق الليبراليين الألمان في برلمان فرانكفورت قاد إلى توافق الطبقة البرجوازية والمحافظين وخاصة ملاك الأراضي البروسيين) في القرن العشرين نتج عن الجدل حول الفشل في تحقيق الوحدة في ١٨٤٨ تأسيس الأمة الدولة في ١٨٧١ ومن تم تأجل تطوير القيم الوطنية الإيجابية.

ترتبط العقود التي تلت تأسيس الرايخ الألماني في عام ١٨٧١ بشخصية وسياسة أول مستشار للرايخ الألماني أتو فون بسمارك والذي درج المؤرخون على تقسيم فترة حكمه الى مرحلتين. ففي السنوات الأولى حاول بسمارك استمالة بعض القوى الليبرالية في مساعيه الرامية للحد من نفوذ القوى المحافظة، وخاصة حزب الوسط الذي كان يمثل الكنيسة الكاثوليكية. وكانت سياسة بسمارك تهدف حينها بشكل خاص الى تأكيد الطابع العلماني للدولة وتحجيم دور الكنيسة الكاثوليكية في الحياة السياسية. كما انعكس هذا التوجه الليبرالي على الصعيد الاقتصادي في اعتماد سياسية تقوم على مبدأ حرية التجارة. وارتبطت هذه السياسة بتحقيق تطور اقتصادي وصناعي ملموس في السنوات الأولى، إذ شهد مطلع سبعينات القرن التاسع عشر انتعاشا اقتصاديا ملحوظا مكّن ألمانيا من تجاوز فرنسا كثاني قوة اقتصادية في أوروبا.

الفصل العاشر
الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨)م

أولاً : التحالفات والتحالفات المضادة قبيل الحرب

عصبة الأباطرة الثلاثة (المانيا – النمسا – إيطاليا) 1872

رأى بسمارك أنه لابد من اتباع سياسة مختلفة ، ومن ثم فقد عمد إلى التقرب أكثر من روسيا والنمسا ، وأقنع قيصر روسيا وامبراطور النمسا بأن الظروف الدولية تتطلب تعاوناْ موثق بين أباطرة شرق أوربا ووسطها وكانت هناك أهداف مشتركة تجمع هذه القوى الثلاث وهى :

١- الرغبة في عدم إدخال تغيير على أوربا واستمرار الوضع الراهن ، والابقاء على الحدود الراهنة.

٢- اقتراب وجهات النظر في كل من روسيا وألمانيا للوقوف في وجه المبادئ الاشتراكية.

٣- التعاون على إخماد الحركات الثورية في أوربا .

٤- بحث مشاكل البلقان لمنع قيام حرب بين حلفاء بسمارك (روسيا والنمسا) واللجوء إلى المفاوضات خاصة وأنه في حالة قيام حرب بين روسيا والنمسا فإن ألمانيا لا تستطيع أن تظل على صداقتهما ، كما أن انحياز ألمانيا لدولة منهما ضد الدولة الأخرى قد يدفع بالدولة الثانية إلى أحضان فرنسا المتربصة بألمانيا.

وبعد تخلى بسمارك عن سياسة الحرب الوقائية واتجاهه إلى التحالف مع النمسا وروسيا فقد جرت مفاوضات طويلة واجتماعات عديدة تمت في برلين بين ألمانيا والنمسا وروسيا في سنة 1872 وقد وصل الأباطرة الثلاثة إلى اتفاق شفهي أطلق عليه عصبة الأباطرة الثلاثة في يونيو اتفق فيه على الإبقاء على الحدود الراهنة لأوربا ، والعمل على تسوية المشكلات الناجمة عن المسألة الشرقية ، والمعاونة على إخماد الحركات الثورية في أوربا ، والوقوف في وجه المبادئ الاشتراكية ،

وعلى السعي إليه وهو عزلة فرنسا التى كان يرى فيها عاملاْ جوهرياْ لمنع تعاونها العسكري مع أية دولة أوربية أخرى.

وفى هذه الاجتماعات تآلفت النمسا مع روسيا وذلك على الرغم من أن قلب روسيا كان مع فرنسا في ظل سياسة الحرب ، وإذا كانت روسيا تحس بهذا الميل نحو فرنسا فإنه كان لحدوث بعض الأزمات دور مهم في تأكيد صلابة هذه العصبة أو عدم صلابتها منها أزمة البلقان ، كما أن ما أسفرت عنه الحرب التركية – الروسية عام 1872ثم نتائج مؤتمر برلين حيث وقفت ألمانيا في وجه روسيا وأرغمتها على قبول تحكيمها غداة انتصارها على تركيا ، كما أن ألمانيا حينما تصادمت مصالح النمسا وروسيا انحازت ألمانيا إلى جانب النمسا ، وقد زاد اعتقاد القيصر الروسي أن هذا المؤتمر ليس سوى تحالفاْ أوربياْ بزعامة بسمارك ضد روسيا ، وأنهم فضلوا عليها النمسا فخرجت هذه الأخيرة من المؤتمر رابحة ، وهي نتيجة لم تكن روسيا تتوقعها.

ويوضح ذلك أن هذه الأزمات وبخاصة أزمة البلقان كان من شأنها عدم الابقاء على صداقة ألمانيا للنمساوروسيا المتنافستين والوقوف لإلى جانب طرف ضد طرف آخر كان من شأنه أن يقوض عصبة الأباطرة الثلاثة ، ولذلك اتجهت حكومة القيصر إلى الانسحاب من العصبة . أما بسمارك فقد رأى بعد فشل روسيا في الحصول على أطماعها في مؤتمر برلين أنه من الأفضل في هذه الحالة التقارب إلى النمسا باعتبارها أكثر استقراراْ من روسيا التى تتسم بكثرة التقلبات والتى أيدت التقارب مع فرنسا ، كما أن التحالف مع النمسا سيبعد شبح المطالبات النمساوية فيم سبق أن سلخته ألمانيا من الإمبراطورية النمساوية في صلح براغ سنة 1866، وفوق ذلك فإن التحالف مع فرنسا من شأنه أن يغطى ظهر ألمانيا المكشوف ، مما يمكنها من مواجهة أي هجوم فرنسي .

التحالف الثنائي (ألمانيا – النمسا) ١٨٧٩م

كانت العوامل السابقة دافعا لبسمارك للتقرب من النمسا ، وأخذ يحث امبراطورها وحكومتها على عقد تحالف مع ألمانيا فهو من هذه الناحية يضمن سلامة كل منهما ، ومن ناحية ثانية فهو كاف لردع أية قوة تتصدى لواحدة منهما ، وكان بسمارك يرى ضرورة إتمام هذا التحالف مع النمسا لتدعيم مركز ألمانيا . وقد أعلن في شهر

أغسطس 1879: إن فشلنا في تدعيم مركزنا مع روسيا يضطرنا إلى اتخاذ الاحتياط في علاقتنا مع الدول الأخرى أكثر مما كنا نفعل عندما كنا متأكدين من صداقة روسيا. وقد وضع اندراسي وزير خارجية النمسا شروطا محددة لإبرام هذا التحالف ، وذلك على الرغم من أن بسمارك كان في نظر الدوائر الدبلوماسية الأوربية هو الرجل القادر على تجاهل شروط الطرف الآخر وتوجيه الأمور وفق مشيئته . ومع أن بسمارك لم يكن راضيا كل الرضاء عن أحد هذه الشروط والذي أصر عليه وزير خارجية النمسا إلا أنه قبل به ، وقد ظلت نصوص هذا التحالف سرية إلى ما بعد الرب العالمية الأولى ، وبذلك توصل الطرفان إلى ما عرف بالتحالف الثنائي في 7 أكتوبر ١٨٧٩م. وكانت نصوص هذا التحالف على النحو التالي :

١- في حالة وقوع هجوم روسي على أي من الطرفين (ألمانيا- النمسا) يقوم الطرف الآخر بمساعدة حليفه .

٢- إذا قام أحد الطرفين بالهجوم على طرف ثالث يقف الحليف على الحياد الودي .

٣- في حالة تعاون إيجابي أو عسكري من جانب روسيا وفرنسا تعمل الدولتان المتعاقدتان معا على مواجهتها.

أعطى هذا الحلف فرصة للنمسا لتطمئن من جهة الأطماع الروسية في البلقان ، وفي الوقت نفسه فق هيأ لألمانيا تأمين حدودها الجنوبية في حالة قيام حرب ضد روسيا أو فرنسا . ويعتبر البعض أن هذا الحلف كان عبارة عن معاهدة دفاعية نجح في عقدها بسمارك وظلت الأساس الذي ترتكز عليه السياسة الألمانية حتى عام ١٨٨٢م

التحالف الثلاثي (ألمانيا – النمسا – إيطاليا) 1882

في ٢٠ مايو ١٨٨٢م انضمت إيطاليا إلى التحالف الثنائي (ألمانيا والنمسا) فأصبح ذلك تحالفا ثلاثيا ، وهو التحالف الذي دام حتى نشوب الحرب العالمية الأولى 1914 . وكان دافع إيطاليا للانضمام إلى هذا التحالف هو اقتناعها بأن فرنسا التي أبعدتها عن تونس وقامت باحتلالها سنة 1881 لن تسمح لها بموضع قدم في شمالي أفريقيا إلا إذا أحست بقوة إيطاليا ، وكان إيطاليا تطمع في السيطرة على بلاد شمال أفريقيا المواجهة لشواطئها ، كما أنها كانت تعانى في ذلك الوقت من أزمات اقتصادية شديدة ألمت بها بعد تمام وحدتها القومية . وقد رحبت ألمانيا

بالتحالف مع إيطاليا لأن فرنسا بذلك تصبح مهددة أكثر من جهة مما يمنعها من تركيز جيوشها في جبهة واحدة ، كما أن ألمانيا كانت تعتقد أن هذا التحالف قد يؤدي إلى انفراج أزمتها الاقتصادية الحادة

وهكذا أصبح بسمارك متعاقدا مع أطراف متنافرة ، فأحدها وهي النمسا كارهة لروسيا والتى كانت تشترك معها في عضوية عصبة الأباطرة الثلاثة ، والثانية وهى إيطاليا كان هناك نزاع بينها وبين النمسا حول الحدود بينهما ، وقد أخذت ألمانيا تنزلق تدريجيا نحو الخول في خضم التنافس الأوربي في البلقان .

نص هذا التحالف على تبادل السلام والصداقة بين الأطراف المتعاقدة ، وبعدم الدخول في اتفاق أو تعهد يكون موجها إلى أي طرف ، وأنه إذا هوجم طرف أو طرفان من الأطراف المتعاقدة دون تحرش مباشر من جانبه أو من جانبهما ودخل أو دخلا في حرب مع اثنين أو أكثر من الدول العظمى التي لم توقع المعاهدة فإن حالة التعاقد تعتبر حاصلة في الوقت نفسه بالنسبة لكل الأطراف ، وتقرر بناء على اقتراح إيطاليا بأنه لا تجوز المساعدة إذا كان الهجوم على إحداها بناء على إثارتها للدولة المعادية . وأكدت هذه المحالفة بمحالفة أخرى بين الأطراف الثلاثة في 20 فبراير 1887 على أن تبقى هذه المحالفة ممتدة حتى 30 مايو سنة 1892. لما كانت مصالح كل من النمسا وإيطاليا تتناقض بشدة في شبه جزيرة البلقان وفى شرق البحر المتوسط وفى الأراضي الإيطالية الباقية في حوزة النمسا فقد أدى ذلك إلى ضعف التحالف الثلاثي ، إلى جانب وقوف ألمانيا ومساعدتها لتركيا في حربها مع إيطاليا سنة 1911 بسبب رغبتها في الإبقاء على صلاتها بتركيا التى فتحت أبوابها للألمان وهيأت لهم الطريق لتحقيق آمالهم في الشرق ، وبذلك تزعزعت القواعد التي تربط إيطاليا بحليفتها وأصبح من غير الممكن الاعتماد كثيرا على هذا التحالف.

الحلف الروسي الفرنسي 1893

عمل بسمارك على الإبقاء على ود روسيا ولو ظاهريا عندما أدرك أن التباعد بين روسيا وألمانيا يسير بخطوات سريعة للغاية حتى أنه تمكن من أن يؤخر التحالف الروسي الفرنسي عشرين عاما ، فقد عمل في البداية مع روسيا ثم أخذ في تضليلها والعبث بها حتى بعد أن ظهرت نواياه الحقيقية في مؤتمر برلين سنة 1878 ، وقد

عقد مع قيصر روسيا اسكندر الثالث في عامي 1884 ، 1887 اتفاقات سرية بأن تقف روسيا على الحياد إذا ما هاجمت ألمانيا دولة أوربية مقابل أن يعترف بحقوق روسيا التى اكتسبتها على مر الأيام في شبه جزيرة البلقان وبخاصة شرعية نفوذها الحاسم في بلغارية والروملي الشرقي . وفى عام 1885 وقعت الثورة فى ولاية الروملي الشقية ضد الدولة العثمانية أعلنت انضمامها إلى بلغاريا ، وحاز ذلك تأييد حكومة بريطانيا التي كانت ترى أن بلغاريا أصبحت شوكة في جانب روسيا ، وأن مصلحة بريطانيا أن تستكمل بلغاريا وحدتها في كل هذه الظروف . وعندما وجدت الصرب أن جارتها بلغاريا تكبر وتهدد أمانيها أعلنت عليها الحرب ، ولكنها منيت بهزيمة ساحقة على يد الجيش البلغاري وقد انتهت الحرب إلى عودة الأمور إلى ما كانت عليه قبلها وذلك فى معاهدة بوخارست في 3 مارس1886

جاءت هذه الأحداث لتؤكد أن الفرقة بين ألمانيا وروسيا لا رجعة فيها إذ وقف بسمارك موقف الحليف من النمسا ضد روسيا ورغم ذلك استمر في إظهار سياسة الود مع روسيا كي لا تندفع لعقد تحالف مع فرنسا حتى لأن تمكن في عام 1887 من عقد معاهدة ضمان مع روسيا والتى نصت على أنه في حالة اشتباك إحدى الدولتين المتعاقدتين في حرب ضد دولة ثالثة تقف الأخرى على الحياد ، أو بمعنى آخر إذا هجمت روسيا النمسا لا تدخل ألمانيا الحرب ضد روسيا ، وهو يعد تناقضا للحلف الثنائي بين ألمانيا والنمسا ، وبدلا من أن يعمل على إنهاء الخلافات الروسية – الألمانية فإنها زادت عمقا . ويتضح ذلك في عودة الموقف في بلغاريا إلى التوتر عندما صممت روسيا على عزل دينانـد أوف ساكس كوبرج عن عرش بلغاريا في سنة 1887 وتحدتها النمسا بقوة . وجاء رد بسمارك على تلميح القيصر الروسي باستخدام القوة ضد النمسا بتأييده الكامل لنمسا . قام في فبراير 1887 بنشر نصوص معاهدة الحلف الثنائي ، ووقفت إيطاليا وانجلترا أيضا ضد روسيا مما جعل روسيا تدرك مدى ضعفها وحدها في مواجهة المجتمع الأوربي ، بالتالي فإن محاولات الارتباط الودي مع ألمانيا لم تعد ذات جدوى ، وبذلك فشلت معاهدة سنة 1887 في إزالة الخلافات بين ألمانيا وروسيا والإبقاء على العلاقات الودية فيما بينهما .

وإزاء ذلك فقد دفعت الظروف روسيا نحو التحالف مع فرنسا التى كانت تراقب هذه التطورات وترتب اقتناصها بمهارة ، وكانت الدوافع التي أدت إلى عقد هذا التحالف دوافع عسكرية واقتصادية وسياسية . وكانت روسيا قد أرسلت في نوفمبر 1888 وفدا إلى فرنسا لجس النبض والتمهيد للتقارب بين الدولتين ، وأبدت فرنسا استعدادها لمساعدة روسيا لتغطية القرض الذي طلبته ، وقد بدأ هذا التقارب بين فرنسا وروسيا قبل أن تبدأ المفاوضات بين البلدين ، ففي يوليو 1891 قام الأسطول الفرنسي بزيارة ميناء كرنستادKronstadt الروسي على بحر البلطيق واستقبله الروس بالترحيب ، وتم عزف نشيد المرسيلز الفرنسي الذي كان ممنوعا في الممتلكات الروسية ، وقد رد الأسطول الروسي الزيارة حيث قام بزيارة لميناء طولون في أكتوبر 1893 .

ويوضح ذلك أن الدولتين قد نحيتا جانبا وجود خلاف حول المبادئ العامة التي تعتنقها كل من الدولتين وأكدا على وجود مصالح وأهداف مشتركة وعلى تبادل المنافع فكان تحالف دولة جمهورية ديمقراطية مع أشد الدول رجعية وعلى حد قول الفرنسيين فقد كان التحالف مع روسيا أشبه بزواج المصلحة. كان أهم العوامل التي أدت إلى هذا التحالف الروسي الفرنسي هو أن روسيا تعانى بشدة من التحالف الصناعي ، مع تطلعها إلى التوسع الاستعماري فى اتجاه الشرق، وكان ذلك يتطلب توافر رأس المال والخبرة ، ولما كانت ألمانيا وانجلترا تكرهان تقوية روسيا فلم يكن أمام الأخيرة سوى الاستعانة بفرنسا في هذا المجال.

ثانياً: الأزمات التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى

أزمات مراكش

في أعقاب الاتفاق الودي ١٩٠٤م فاوض "دلكاسيه" وزير خارجية فرنسا بشأن تقسيم مراكش دولة أسبانيا التي أقتنعت بالاستيلاء على إقليم الريف فلم يبق أمامها من معارض سوى ألمانيا التى كانت تهتم بمراكش، وتعمل على منع فرنسا من بسط سيطرتها عليها، فقام الإمبراطور "وليم الثانى" بالنزول فى ميناء طنجة فى مارس ١٩٠٥ وألقى خطبة، أكد لسلطان مراكش أن ألمانيا تعتبره سلطاناً مستقلاً آملاً تحافظ مراكش على سياسة الباب المفتوح. فى عام ١٩٠٥ اقترح الكونت "شليفن" رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية على حكومته إقحام حرب على فرنسا لاختبار

متانة الاتفاق الودى الإنجليزى الفرنسى بشن هجوم دبلوماسى قوى. ففى ١٦ يناير ١٩٠٦ عقد مؤتمر فى الجزيرة الخضراء، وحضره ممثلو اثنتى عشرة دولة وسرعان ما تحول هذا المؤتمر إلى صراع سياسى بين ألمانيا وفرنسا، حصلت فرنسا على تأييد صريح من روسيا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا، فى حين كان تأييد النمسا لألمانيا فى المؤتمر تأييداً فاتراً، فى المؤتمر انتصرت فرنسا لأنها حصلت على نصيب الأسد فى السيطرة واستبعدت ألمانيا وحلفاؤها كلية من الشرطة، فى حين نالت ألمانيا نجاحاً فى الرقابة المالية وفرض التجارة، فقد تأسس مصرف الدولة تحت إشراف الدول الأربع ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا، وأسندت قيادة قوة أمن الموانئ إلى ضباط فرنسيين وأسبانيين.

أزمة ضم البوسنة والهرسك ١٩٠٨م

أن بقاء مقدونيا تحت الحكم العثمانى أثبت أنه مركز مزمن للاضطراب والقمع والشدة، وكان التهجم والامتعاض عظيمين فى أوروبا، حينما عرف أن النمسا بدون علم حليفتها ألمانيا، ضمت البوسنة والهرسك فى أكتوبر ١٩٠٨، وأن بلغاريا بتشجيع النمسا أعلنت نفسها مملكة مستقلة عن الباب العالى، وقد رأت النمسا أن الفرصة سانحة لها لضم هذين الإقليمين الذين تحملت عبء إدارتهما منذ مؤتمر برلين ١٨٧٨ حيث وقعت البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمساوى المجرى. تم التصديق على بيان الإمبراطور النمساوى بموجب معاهدة عقدت فى استانبول – نصت عل ى إلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا.

الحرب التركية الإيطالية ١٩١١ – ١٩١٢ م

أثناء أزمة أغادير حاولت إيطاليا تحقيق بعض التوسعات الجديدة فأخذت تفكر فى إنشاء إمبراطورية إيطالية فى أفريقيا ولم تتمكن من تحقيق أطماعها فى تونس ١٨٨١ ووافقت أطماعها فى أثيوبيا ١٨٩٦ ، ولم توفق إلا فى ١٩١١حين احتلت ليبيا، فقد أعلنت إيطاليا حرباً على الدولة العثمانية بعد أن حصلت على اعتراف الدول الكرى باحتلال ليبيا، وأنزلت قواتها على الشواطئ الليبية واستولت على جزر الدوديكانيز فى بحر إيجة.

ففى ٢٦ سبتمبر ١٩١١ أرسلت إيطاليا إلى تركيا إنذاراً أن تصدر تركيا أوامرها إلى قواتها بعدم التعرض للقوات الإيطالية ولكى يتم الاحتلال بدون مقاومة، وانتشرت

الأخبار بأن الباخرة التركية "درنة" فى طريقها إلى طرابلس محملة بالأسلحة والذخائر، فقدمت إيطاليا إلى الباب العالى مذكرة أشارت فيها إلى الأخطار التى تهدد الرعايا الإيطاليين فى طرابلس ، وحذرت تركيا من أن إرسال السفن والمهمات الحربية إلى فى هذه الظروف سيعتبر عملاً غير ودى، ووصلت "درنة" إلى ميناء طرابلس فى ٢٧ سبتمبر ١٩١١ فقدمت إيطاليا إنذارها إلى تركيا فى اليوم التالى بأن ضرورة ملحة لإنهاء حالة الفوضى والإهمال فى طرابلس وبرقة، وأن يسمح لها بأن تتمتع بالتقدم، وأن إيطاليا تطلب إجابة قاطعة من تركيا خلال أربع وعشرين ساعة من وقت تقديم الوثيقة للباب العالى، وفى حالة عدم الإجابة ستكون إيطاليا مضطرة لأن تتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذ الاحتلال – هذا من منطلق القوة الإيطالية فى ذلك الوقت .

ردت تركيا على الإنذار الإيطالى وأظهر الرد للإيطاليين حسن نية تركيا حيال إيطاليا ومشروعاتها الاقتصادية فى طرابلس وبرقة، وأكد لهم أن الحالة فى طرابلس لا تهدد بالخطر، وأن تركيا على أتم استعداد لكى تمنح إيطاليا امتيازات اقتصادية كافية فى هذه الولاية ، على ألا يؤثر ذلك على السيادة العثمانية، وعلى ألا تقدم إيطاليا على احتلالها عسكرياً، بل تتعاون الحكومتان على تقدم الولاية، وتستفيدا معاً دون أن تتعرض مصالح إحداهما أو كرامتها للاعتداء، وبذلك فإن خطب الود الإيطالى من قبل تركيا دليل الضعف.

الحروب البلقانية (١٩١٢ – ١٩١٣)

تمت مقابلة بين ملك إنجلترا وقيصر روسيا فى ريفال فى ظروف الوفاق الودى ١٩٠٧ لتصفية الخلاف بين الدولتين وفهم من هذا الوفاق أنه مساومة استعمارية بينهما على حساب الدولة العثمانية، فكان لابد من تحرك الضباط الأتراك لإيقاف هذه المؤامرة الخارجية، إلا أن الضباط أرسلوا إلى السلطان عبد الحميد يطالبونه بإعادة دستور ١٨٧٦ الذى عطله فى ١٨٧٨، وفى ٢٤ يوليو ١٩٠٨ أعلن السلطان إعادة الدستور وإلغاء الرقابة والجاسوسية وإجراء انتخابات لمجلس المبعوثان، قوبل إعلان الدستور بابتهاج بالغ فى كافة أنحاء الإمبراطورية، فأعلن أنور باشا أن الحكومة الاستبدادية قد انتهت وأصبح الجميع متساوون سواء بلغار أو يونانيون أو رومانيون أو يهود أو مسلمون نفخر بأننا عثمانيون، وفى مدينة سيريس تعانق رئيس جمعية الاتحاد والترقى فى بلغاريا مع البطرق اليونانى، وفى " دارما " سَجَنَ

الضباط الأتراك أحد الأتراك لأنه أهان مسيحياً – وفى إحدى الكنائس الأرمينية اجتمع عدد كبير من الأتراك والأرمن للصلاة على روح ضحايا المذابح الأرمينية.

حادث سراييفو ٢٨ يوليو ١٩١٤

كانت العلاقة بين النمسا وصربيا تسير من سئ إلى أسوأ والولايات اليوغسلافية المتفرقة حانقة على الحكم النمساوى ، وتوالت المؤامرات اليوغسلافية لقتل كبار الموظفين النمساويين وأخذ "بروشتلد" وزير خارجية النمسا فى يونيو ١٩١٤ يدبر الوسائل السريعة التى تمكن النمسا من القضاء على صربيا ، وكان ولى عهد النمسا "الأرشيدوق فرانز فردناند" من أكثر سياسى النمسا تشدداً إزاء المشكلة الصربية ويرى أنه لا يمكن تسويتها إلا بالقوة، وكان يرمى إلى بسط نفوذ النمسا شرقاً حتى يبلغ سلانيك ، ورأى تمهيداً لذلك جلب البوسنة إليه فزار عاصمتها سراييفو لهذا الغرض ، و فى ٢٨ يونيو ١٩١٤، أطلق عليه أحد طلاب المدارس العالية وعضو جمعية اليد السوداء الصربية ويدعى "غفريلو برنسيب" النار فقتله هو وزوجته دوقة " هوهنرج " فى أحد شوارع سراييفو فأقدمت الحكومة النمساوية ومؤيدتها ومشيرتها الحكومة الألمانية على التذرع بهذا الجرم لتخطو خطوة واسعة فى أوروبا.

وكان الرأى أنه من حسن السياسة أن هذه الجريمة وإن كانت قد ارتكبت فى أرض البوسنة التابعة للنمسا، إلا أنها كانت من تدبير "جمعية اليد السوداء" الصربية ، وأنها لقيت تشجيعاً من جانب موظفى الحكومة الصربية فهناك من القرائن ما يحمل على الاعتقاد بأن اغتيال اسكندر ملك صربيا وقرينته الملكة دراجا عام ١٩٠٣، ومصرع الأرشيدوق فى عام ١٩١٤ كان كلاهما من عمل " أفيس" رئيس جمعية اليد السوداء، وفى يوم ٢٣ يوليو ١٩١٤ قدمت الحكومة النمساوية إنذاراً نهائياً إلى الصرب قصد به أن يقابل بالرفض إذ كان ينطوى على تقويض استقلال الصرب وقد تضمن الإنذار عدة مطالب هى :

١- حل الجمعيات الوطنية التى تقوم بالدعاية ضد النمسا وأن تتخذ الحكومة الصربية الإجراءات اللازمة لذلك .

٢- إغلاق الصحف وأن تعطل كل نشرة تحرض على كراهية مملكة النمسا والمجر.

٣- مراقبة المدارس حتى لا ينفث الأساتذة كراهية النمسا فى نفوس الطلاب وحذف كل شئ من المعارف من شأنه أن يكون دعاية موجهة ضد النمسا والمجر وذلك سواء فيما يتعلق بهيئة التدريس أو وسائل التعليم.

٤- مصادرة الكتب المدرسية التى وضعت بقصد الدعاية ضد النمسا والمجر.

٥- عزل القواد والموظفين الذين اشتهر عنهم كراهية النمسا والذين تحتفظ الحكومة النمساوية المجرية بحق تقديم أسماءهم وإبانة أعمالهم للحكومة الصربية.

٦- القبض على شخصين نمساويين جاء ذكرهما فى التحقيق وهما من موظفى الحكومة الصربية.

٧- السماح للنمسا بالاشتراك فى التحقيق الخاص بمقتل ولى العهد، واتخاذ الإجراءات القضائية مع من لهم ضلع – فى الأراضى الصربية – فى مؤامرة الاغتيال هذه.

فى ٢٩ يوليو، ومع أنباء إعلان الحرب الموجهة إلى الصرب وضرب بلجراد بالمدفعية، شعرت روسيا بمسئوليتها عن حماية الصرب فأعلنت التعبئة العامة فى ٣٠ يوليو لحشد الثلاثة عشرة فيلقاً التى سيكون عليها أن تعمل ضد النمسا والمجر فأصبح الصدام الصربى يهدد بأن يتحول إلى صدام نمسوى روسى، وجاء الرد من ألمانيا فى اليوم التالى فى شكل إنذار يطالب بوقف التعبئة، وعندما رفضت روسيا، أعلنت ألمانيا الحرب عليها فى أول أغسطس ١٩١٤، وكانت فرنسا مرتبطة بتحالف مع روسيا ، فقد تسلمت إنذاراً من ألمانيا يطالبها بالحياد ، ولما لم ترد على الإنذار أعلنت ألمانيا الحرب عليها فى ١٣ أغسطس ١٩١٤ وأخذت فى تنفيذ مشروعها الحربى بغزو فرنسا عن طريق اختراق بلجيكا ولكسمبورج.

ثالثاً: تطورات الحرب العالمية الأولى

وضعت ألمانيا خطة الحرب منذ سنوات، فهى بالتالى مستعدة لخوض غمار هذه الحرب، فعندما أعلنت الحرب على فرنسا، دخلت خطة الكونت فوت شليفين الحربية، وهى التى وضعها فى عام ١٩٠٥ وأقرت رسمياً فى عام ١٩١٢ فى دور التنفيذ، وتقوم على الهجوم على فرنسا أولاً عن طريق اختراق حياد بلجيكا ولكسمبورج واحتلال باريس، ثم التحول إلى روسيا للهجوم عليها، وهذا يعنى ترك بروسيا

الشرقية معرضة لضربة من جانب روسيا الرابضة فى الشرق، ولكن هذا الأمل كان معقوداً على صمود النمسا والمجر أمام روسيا لمدة ستة أسابيع، تكون باريس فيها قد سقطت ويمكن بعدها إرسال الإمدادات إلى الجبهة الشرقية، على أن روسيا انتهزت فرصة انشغال القوات الألمانية فى فرنسا، لإنقاذ جيشين كبيرين لتطويق القوات الألمانية فى بروسيا الشرقية، الأمر الذى اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثى قواتها من الجبهة الغربية لمواجهة هذا الخطر.

أما بريطانيا فقد جاهدت قدر الاستطاعة فى سبيل حفظ السلام فى بداية الحرب، فعلى حد قول "فشر" أنه لا يمكن أن توجه إليها تهمة السعى إلى إشهار الحرب ، فإنه كان أمراً لا مفر منه، فعند إقحام فرنسا فى الحرب نجد أن الشعب البريطانى نفسه كان لا يريد الحرب حتى أنه لولا غزو ألمانيا لبلجيكا لحل بصفوف الوزارة والبرلمان والأمة الانشقاق وتفرق الكلمة٠قام الفرنسيون بهجمة فاشلة فى جبال الأردن الجنوبية وتأرجحت الجيوش الألمانية حول المسيرة الفرنسية حتى أيقن الناس أن جيوش لا قبل لأحد بمقاومتها وسقط آخر حصن فى ليج فى ١٦ أغسطس، وبلغ الألمان بروكسل فى ٢٠ أغسطس، وعند مونز أصيب الجيش البريطانى الصغير المكون من سبعين ألفاً والذى وصل إلى بلجيكا بضربة قاضية من قوات ساحقة٠

وقد تسبب دخول تركيا الحرب جانب ألمانيا ودول الوسط فى مساندة إنجلترا وفرنسا أعمال المقاومة ضدها فى البلقان، وكان الثمن الذى دفعته تركيا هو التخلى عن المنطقة، كما تسبب دخول تركيا الحرب ضد روسيا أن أنفذ الحلفاء أسطول بريطانى لاقتحام الدردنيل ، وجيشاً إلى شبه جزيرة غاليبولى خط الدفاع الاستراتيجى عن القسطنطينية وضم هذا الجيش نحو ٣٠٠٠ رجل مصرى حققوا نجاحاً عظيماً للقوات الإنجليزية ، وفى تقرير من وينجت إلى بلفور يبين أنه عندما زاد الطلب على أهل الريف خلف خطوط القتال فى غاليبولى وفرنسا وسيناء والعراق وفلسطين نظراً لقدرتهم على تحمل الأعباء اليدوية الشاقة .

ناهيك عن استخدام القوات البريطانية كثير من المجالات المصرية مثل الأفراد والدواب ووسائل النقل وعلف الدواب رغم أنف المصريين للخدمة فى كثير من ميادين القتال وكان لهؤلاء دور كبير فى انتصار الحلفاء، ليس هذا فحسب، فقد قدمت مصر

مدرسة البوليس لاستعمالها مستشفى حربية، هذا جانب المستشفيات المصرية ودور جمعية الهلال الأحمر المصرى فى الحرب، لصالح الجرحى الإنجليز وحلفائهم، كما تم استخدام قناة السويس لصالح الحلفاء، أيضاً قامت السلطة العسكرية البريطانية بتقييد الحرية التجارية المصرية مع دول العالم، وأن القوات البحرية والحربية البريطانية يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية، وكل ما يجرى الاستحواذ عليه فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية من سفن حربية أو تجارية أو بضائع يجوز إحالته على إحدى محاكم الغنائم البريطانية، وكان الغرض من اقتحام المضايق إنشاء ممر بين البحر المتوسط والبحر الأسود مع الاستيلاء على العاصمة التركية، لإنقاذ روسيا من عزلتها، وتمكين الدول الغربية من الاتصال بها حتى يمكن تطويق ألمانيا فى كل مكان، وعزل تركيا عن حلفائها، فعندما دخلت تركيا الحرب واعتدى الأسطولان الإنجليزى والفرنسى على مضيق الدردنيل رغم تحصينه ومضيق البسفور، فقد كانت هناك آراء بأنه يمكن منع الأسطول من الاقتراب من المضايق، أوعلى الأقل منعه من الإنزال البرى، مع التخوف من حدوث إنزال برى فى حالة وجود أسطول قوى، وخاصة إذا تمكن العدو من اكتساب موقع على الساحل

الولايات المتحدة الأمريكية والحرب العالمية الأولى

تمسكت الولايات المتحدة بمبدأ سياسي وهو "مبدأ العزلة" "Non Entanglement" ويقصد بهذا المبدأ عدم التدخل في الشئون الدولية وعدم الاشتراك في المحالفات والمعاهدات الأجنبية ، وقد تبلور ذلك رسمياً في إطار ما عرف "بمبدأ مونرو" "Mouroe Doctrine"الذي أرساه الرئيس الأمريكي جيمس مونرو" في عام ١٨٢٣م، والذي سبق الإشارة إليه ومما لا شك فيه أن هذه السياسة لم تأت بمحض الصدفة، وإنما هي نتاج لجملة من العوامل والظروف التي أحاطت بالولايات المتحدة في (١٨٢٣ م)، والتي أدت إلى تعميق القناعة لدى الأمريكيين بأن العزلة السياسية تمثل أفضل البدائل التي تكفل الأمن الأمريكي، وتوفر للولايات المتحدة فرصة التركيز على البناء الداخلي والاقتصادي.

كما كان من بين العوامل التي شجعتها على ذلك موقعها الجغرافي الذي ينطوي على عدة مميزات، ومنها عزلتها عن قارات العالم القديم، ووجود المحيطات التي تفصل

بينها وبين هذه القارات، هذا بالإضافة إلى عدم وجود دولة قوية حينذاك تشكل خطرا عليها ضمن نظامها القاري في الأمريكتين الشمالية والجنوبية، بالإضافة إلى توافر رصيد ضخم من الموارد الطبيعية واتساع رقعتها الجغرافية، مما حقق للولايات المتحدة مستوى عاليا من الاكتفاء الذاتي اقتصاديا. وعلى الرغم من ذلك فإن المتتبع للجانب التطبيقي من مبدأ مونرو، يجد أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن في عزلة حقيقية عن العالم الخارجي؛ بل على العكس، فهي في أحوال كثيرة تفهم جيدا طبيعة الظروف الدولية التي تحيط بها، وتدرك ما قد تحمله تلك الظروف من مختلف عوامل التحدي والتهديد، فالمصالح Intersts تبقى هي المحك الرئيس الذي في ضوئه يتحدد إطار الحركة علي مستوى التعامل الدولي. ولعل ذلك يفسر لنا كيف أن الولايات المتحدة لم تتأخر في استغلال المنازعات التي كانت سائدة بين القوى الأوروبية لتحقيق مصالحها الخاصة في أمريكا اللاتينية والمحيط الهادي.

والواقع أن مبدأ مونرو كان بداية الإرهاصات الأولى للتوسع الأمريكي في نصف الكرة الغربي – وفي البحر الكاريبي بصفة خاصة، وهذا هو المضمون الحقيقي لمبدأ مونرو. أما بداية الدور الحقيقي الذي برزت فيه الولايات المتحدة الأمريكية كقوة دولية مؤثرة على مسرح السياسة الدولية، فيرى كثير من المؤرخين أن الولايات المتحدة قد بدأت عصرها الحقيقي كدولة مؤثرة في سياق الأحداث العالمية ابتداء من الحرب الأمريكية الإسبانية عام ١٨٩٨م والتي انتهت بخروج كوبا ومنطقة البحر الكاريبي من السيادة الإسبانية لتدخل في ظل سيادة جديدة هي سيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

هكذا بدأت الولايات المتحدة كسر عزلتها بشكل تدريجي، بخاصة بعد أن انتهت من مرحلة البناء الداخلي، ومرحلة الامتداد باتجاه الغرب، اتجهت إلى مرحلة مد النفوذ الأمريكي في البحر الكاريبي وأمريكا الوسطى والجنوبية. وكان على الولايات المتحدة أن تخطو خطوة أخرى باتجاه الانفتاح على العالم القديم بشكل تدريجي، وتبدأ هذه الخطوة بإعلان "سياسة الباب المفتوح "Open Door Policy" في الصين منذ عام ١٨٩٩م حين طلب وزير الخارجية الأمريكية "جون هى" من الدول الأوروبية التي لها مناطق نفوذ في الصين أن تعد بألا تفرض ضرائب جمركية خاصة أو تجبي رسوما للموانئ الصينية وأصرت الولايات المتحدة أن يسمح لها باقتسام استغلال

السوق والموارد الصينية مع الدول الأوروبية خاصة أن الصين منذ هزيمتها من اليابان عام ١٨٩٥م صارت نهباً للدول الأوروبية (روسيا وألمانيا وفرنسا) لتحقيق مطامع اقتصادية واقليمية وسياسية، ولذا وجدت الولايات المتحدة أن تكون الصين دولة مفتوحة أمام الجميع وليست قاصرة على الدول الأوروبية فحسب. كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدور الوسيط في الصراع الدائر بين روسيا القيصرية وبين اليابان عام ١٩٠٥ م في عهد الرئيس الأمريكي "ثيودور روزفلت" الذي كان من جراء توسطه أن عقد صلح بين الدولتين المتحاربتين تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية.

من مظاهر خروج الولايات المتحدة من عزلتها، مشاركتها في المؤتمرات الدولية، فقد شارك الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت "" أيضا في مؤتمر الجزيرة الخضراء في جنوبي إسبانيا عام ١٩٠٦ م وذلك لحل الأزمة المغربية التي قامت بين فرنسا وألمانيا وقد توسع مفهوم كسر العزلة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي "وودرو ويلسون" الذي تولى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩١٣م وظل في الرئاسة فترتين متتاليتين، وفي عهده انكسر مبدأ العزلة عندما شاركت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وروسيا)، ضد دول الوسط (ألمانيا والنمسا والمجر والدولة العثمانية).

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى في الأول من أغسطس عام ١٩١٤م كان الأمريكيون مصممين على عدم التدخل فيها، والوقوف على الحياد بين دول الوسط ودول الوفاق، وطلب الرئيس ويلسون من الشعب الأمريكي الالتزام بالحياد، ولكن الرأي العام الأمريكي انقسم على نفسه، حيث ظهر كثير من الأمريكيين الذين اتجهوا لتأييد بريطانيا وفرنسا بحكم الروابط الحضارية ووحدة الأنظمة السياسية، كما ظهر اعجاب كثير من الأمريكيين بالمقاومة التي قام بها الفرنسيون والبلجيكيون حين اتجهت ألمانيا خلال الحرب إلى السيطرة على بلجيكا وفرنسا، وعلى الجانب الأخر، كان هناك بعض الأمريكيين خاصة الذين ينحدرون من سلالات ألمانية أو أيرلندية كانوا أكثر تعاطفا مع ألمانيا وامبراطورية النمسا والمجر، حقيقة كان هؤلاء لا يمثلون سوى أقلية بسيطة من تعداد الشعب الأمريكي إلا أن الميول العدائية لديهم نحو

بريطانيا وفرنسا كانت كبيرة وبرزت بسرعة وأصبح هؤلاء يمثلون اتجاه الاقليات المعادية لدول الوفاق.

مع ذلك فمن الملاحظ أن الرئيس الأمريكي ويلسون حين تقدم لتجديد رئاسته عام ١٩١٦م كان يوجه حملته الانتخابية إلى ضرورة حياد الولايات المتحدة، وهنا يعنى أن فكرة الحياد كانت هي الفكرة التي تلقى تأييدا من غالبية الشعب الأمريكي. ولكن لم يمض عام واحد حتى تقدم ويلسون إلى الكونجرس الأمريكي وأعلن رسالته المشهورة في ٢ أبريل ١٩١٧م بأن الولايات المتحدة قررت اعلان الحرب على دول الوسط، وأنها تهدف بذلك القضاء على العسكرية الألمانية، وأن تجعل من عالم ما بعد الحرب عالما ديمقراطيا، وصدق الكونجرس الأمريكي على رسالة ويلسون.

إذن فما هي أسباب دخول أمريكا الحرب؟ كانت هناك عدة عوامل من بينها:

١- كان الحياد الطويل الذي أعلنته الولايات المتحدة الأمريكية منذ اندلاع الحرب عام ١٩١٤ م إلى عام ١٩١٧م حيادا مشبوها، لأن عاطفة قوية كانت تملاء قلوب الأمريكيين تجاه بريطانيا الدولة الأم وتجاه الدول التي دخلت الحرب إلى جانبها ضد دول الوسط بزعامة ألمانيا، صحيح أن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب ضد المانيا ودول الوسط إلا عام ١٩١٧م، أي بعد اندلاع الحرب بفترة ليست بقصيرة، ولكنه كان من المعروف بداهة أن الولايات المتحدة الأمريكية لابد وأن تدخل الحرب إلى جانب بريطانيا ودول الوفاق، فمعظم الشعب الأمريكي كان ينحدر من أصول انجليزية، وكانت الثقافة الانجليزية هي ثقافة الولايات المتحدة، ومن هنا كانت الصحافة الأمريكية سريعة التجاوب مع الصحافة الانجليزية، وكانت الأفكار والاتجاهات الإنجليزية تجد صدى سريع بين أفراد الشعب الأمريكي، ومن ثم كان الانجليز أقدر وأسرع في إقناع الشعب الأمريكي بوجهة نظرهم.

٢- تخوف الولايات المتحدة من النتائج المترتبة على انتصار دول الوسط وانهزام دول الوفاق، وكانت تتخوف من سيادة الألمان الذين يؤمنون بمبدأ التفوق ويؤمنون كذلك بنظرية الحكم المطلق، ومن هنا فان تفوقهم في الحرب وانتصارهم على دول الوفاق يعنى بالدرجة الأولى تفوق (السيادة المطلقة) على (السيادة الديمقراطية)، وأن التفوق الألماني في أوروبا سيجعل القارة الأمريكية بكليتها ليست بعيدة عن متناول النفوذ الألماني وهو ما تخشاه الولايات المتحدة الأمريكية.

٣- كانت الولايات المتحدة تخشى من حدوث تحالف بين ألمانيا والمكسيك، حيث ظهر مشروع للتحالف بين البلدين كان ينص على أنه في حالة قيام حرب بين ألمانيا والولايات المتحدة، فإن ألمانيا سوف تساعد المكسيك في استرجاع الأراضي التي فقدتها عام ١٨٤٨م في الحرب الأمريكية المكسيكية وهي ولايات أريزونا، ونيو مكسيكو، وتكساس، وهي تعرف باسم قضية "زيمرمان" Zimmermann، وهو مساعد وزير الخارجية الألمانية.

٤- ضعف الجبهة الروسية بعد اندلاع الثورة البلشفية، مما أدى إلى خروج روسيا القيصرية من الحرب في مارس عام ١٩١٧م، وبذلك ازدادت جبهة دول الوفاق ضعفا، مما أدى بالولايات المتحدة إلى التفكير الجاد في الدخول في الحرب إلى جانب دول الوفاق بعد أن شعرت بتهاوي الجبهة الروسية من جهة وصمود بريطانيا كدولة وحيدة في ميدان الحرب من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة كان الرأي العام الأمريكي يعطف على ما ألت إليه فرنسا التي مازالت مساعداتها للولايات المتحدة الأمريكية في حروب استقلالها ماثلة في أذهان الأمريكيين.

٥- حرب الغواصات التي شنتها ألمانيا ضد السفن التجارية منذ عام ١٩١٥ م وإصرار ألمانيا على الاستمرار في تنفيذ خطة "لودندورف" فحرب الغواصات كانت أكبر عامل عسكري دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول في الحرب إلى جانب دول الوفاق ضد دول الوسط. وكانت حرب الغواصات موجهة ضد سفن دول الوفاق وسفن، الدول المحايدة على السواء بخاصة عام ١٩١٧م إذا أعلنت ألمانيا أن حرب الغواصات ستكون حربا مطلقة ضد السفن التجارية دون استثناء وذلك بدءا من أول فبراير عام ١٩١٧م، وكان هذا الاعلان من قبل ألمانيا بمثابة إنذار عام السفن التجارية، وقد جلب هذا الإعلان نقمة الولايات المتحدة على ألمانيا، وكان سببا مباشرا أدى إلى دخولها الحرب إلى جانب دول الوفاق، وكانت الغواصات الألمانية قد اغرقت سفينة ركاب بريطانية في أبريل عام ١٩١٥م وهي السفينة " لوزيتانا"Lusitania وهى تحمل ألف راكب من بينهم مائة أمريكي، مما أغضب الأمريكيين وكادوا أن يعلنوا الحرب وقتها على ألمانيا نتيجة لذلك ، واحتجت الولايات المتحدة على هذا الحادث لدى ألمانيا معلنة أنه إذا تجدد حادث مثل هذا النوع فإن الحكومة الأمريكية سوف تعتبره من الأعمال المتعمدة (غير الودية). لكن ألمانيا لم تبال بالاحتجاج الأمريكي واستخدمت حرب الغواصات لأن الخبراء الألمان

قدروا أنه إذا تمكنت ألمانيا من القيام بتلك الحرب لمدة ستة أشهر، فإن ذلك سيؤدى إلى إضعاف المقاومة البريطانية التي تعتمد على المؤن التي تصل من مستعمراتها أو الدول المحايدة ، بينما الولايات المتحدة تحتاج إلى سنة على الأقل لتعبئة جيوشها لإعلان الحرب على ألمانيا، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل ألمانيا تتمادى في حرب الغواصات، حتى أن كثيرا من السفن الأمريكية تعرضت لحوادث تلك الحرب واضطرت الولايات المتحدة إلى تسليح بواخرها التجارية بحجة الدفاع، وإن كان هذا الاجراء يعتبر مقدمة للتدخل الأمريكي، لأن الاشتباك بين غواصات ألمانية وسفن مسلحة أمريكية كان يمكن أن يحدث في أية وقت.

٦- تأثرت المصالح الاقتصادية الأمريكية بحرب الغواصات، فكثير من أصحاب البواخر اتجهوا إلى تسليح بواخرهم التجارية، وكثيرا منهم أيضا منع البواخر من الخروج من الموانئ الأمريكية، حتى تكدست على أرصفة الموانئ الأمريكية مئات الأطنان من البضائع المعدة للتصدير لبريطانيا وفرنسا، ولكنها لم تجد ما يحملها من السفن، وأدى هذا الوضع الاقتصادي إلى التأثير على الزراع الأمريكيين خاصة منتجي القطن والحبوب حتى لقد طغت موجه من السخط الأمريكي ضد الألمان الذين أضروا باقتصاديات الولايات المتحدة. وفي لجان التحقيق التي شكلت بعد الحرب العالمية الأولى،للتقصي عن أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب، تبين أن البنوك الأمريكية كانت قد أقرضت فرنسا وبريطانيا، مبالغ كبيرة من الأموال حتى تتمكن من سد العجز في ميزانها الاقتصادي، ووضح أنه كان من مصلحة البنوك الأمريكية أن تنتصر دول الوفاق لكي تستوفي هذه البنوك أموالها، ولذلك ضغطت هذه البنوك والمؤسسات المالية على متخذ القرار الأمريكي بشأن المشاركة في الحرب إلى جانب دول الوفاق.

هذه كانت الأسباب الرئيسة والمباشرة التي أدت بالولايات المتحدة الأمريكية الاشتراك في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوفاق وضد دول الوسط. ففي ٦أبريل عام ١٩١٧ م، أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون بموافقة أغلبية أعضاء الكونجرس الحرب على المانيا ، كما أعلنت الحكومة الأمريكية بموافقة الكونجرس على النمسا في ٧ ديسمبر عام ١٩١٧م أي أن إعلان الحرب على ألمانيا كان قد سبق إعلان الحرب على النمسا بحوالي ستة أشهر . كما أن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب على الدولة العثمانية، ويرجع ذلك لضعف الموقف العسكري للدولة العثمانية.

كان لدخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى عدة نتائج منها: ارتفاع الروح المعنوية لدول الوفاق، حيث كانت أهمية هذا التدخل حاسمة، فقد أمد دول الوفاق بقوى جديدة كانت بحاجة إليها، ويرجح كفة الميزان العسكري لصالح الوفاق، فقد استطاعت الولايات المتحدة أن تعبء عشرات الألوف من الجنود في جبهات القتال المختلفة، كما عملت المصانع الأمريكية على تلبية متطلبات الحرب من الأسلحة والذخائر، كما كان لتدخل الولايات المتحدة في الحرب فوائد كبيرة من الوجهة الاقتصادية حيث قوى الحصار الاقتصادي على دول الوسط، حيث صرحت الولايات المتحدة أنها لن تمد الدول المحايدة بالبضائع إلا في شروط معينة وأول هذه الشروط ألا تبيع هذه الدول البضائع التي تستوردها إلى ألمانيا.

كان للتدخل الأمريكي فوائد مالية لأن الولايات المتحدة أخذت تقرض دول الوفاق لتستطيع دفع ثمن مشترياتها، ثم أن تدخل الولايات المتحدة دفع قسما كبيرا من جمهوريات أمريكا الوسطى والجنوبية الدخول في الحرب أيضا، فقد أعلنت كوبا الحرب على ألمانيا، ولحقت بها دول أمريكا الوسطى باستثناء السلفادور، ولكن دور دول أمريكا الوسطى ظل دورا ضعيفا لا يعدو كونه إعلان حرب فقط دون أن تشترك فعليا في جبهات القتال ضد ألمانيا، أما عن بقية دول أمريكا اللاتينية فمنها من قطع علاقاته الدبلوماسية مع المانيا كما هو الحال بالنسبة لأورجواي وبيرو وأكوادور وبوليفيا والأرجنتين، ومنها من وقف على الحياد . وأهم من ذلك أن دخول الولايات المتحدة حقق فوائد كبيرة لدول الوفاق، لأن اشتراك الولايات المتحدة في الحرب خفف إلى حد كبير من انسحاب روسيا من تلك الحرب. والأمر الذي لا شك فيه أن الولايات المتحدة إن لها دورا كبيرا في إنهاء الحرب لصالح دول الوفاق، وتوقيع الهدنة في١١/١١/ ١٩١٨م وقد مهدت الولايات المتحدة لإنهاء الحرب بالرسالة التي أعلنها الرئيس الأمريكي في يناير عام ١٩١٨ م بأن الولايات المتحدة تهدف إلى ايجاد اتحاد عام بين الدول والشعوب يقوم على مواثيق خاصة بضمان الاستقلال وسلامة الأراضي. ومن أجل ذلك أصدر الرئيس ويلسون المبادئ الأربع عشرة "The Fourteen Points" والتي عرفت باسمة والتي كان يتخيل فيها عالم ما بعد الحرب، وتنص النقاط الأربع عشرة على:

❖ الكف عن عقد المعاهدات السرية، واتباع الدبلوماسية العلنية في عقد المعاهدات.

❖ العمل على توفير الاحترام اللازم لحرية التجارة والملاحة الدولية في السلم وفي الحرب.

❖ رفع الحواجز الاقتصادية، وفتح باب التجارة لجميع الأمم على قدم المساواة.

❖ خفض التسليح الدولي إلى القدر الكافي للمحافظة على الأمن الداخلي.

❖ تسوية المشكلات الاستعمارية بطريقة عادله، أساسها مراعاة مصالح الأمم .

❖ جلاء القوات الألمانية من الأراضي الروسية.

❖ الجلاء عن الأراضي البلجيكية والمحافظة على استقلالها وحريتها.

❖ الجلاء عن الأراضي الفرنسي، وتسوية مسالة الألزاس واللورين.

❖ تعديل حدود إيطاليا بما يتفق مع القوميات الايطالية.

❖ اعطاء شعوب النمسا والمجر " حق تقرير المصير Determination seif

❖ تعديل الحدود في شبه جزيرة البلقان بما يتفق مع الأوضاع التاريخية وتوزيع القوميات.

❖ اعطاء حق تقرير المصير لكل الشعوب التابعة للدولة العثمانية، من أجل استكمال استقلالها الذاتي، وتقرير حرية الملاحة في مضيق الدردنيل وفقاً لضمانات دولية.

❖ استقلال بولندا مع إعطائها منفذا على بحر البلطيق وفقا لمعاهدات دولية.

❖ إنشاء جمعية عامة أو عصبة أمم تعمل على حفظ الأمن وتوطيد السلام.

كانت مبادئ ويلسون الأربع عشرة تتشمى مع روح السياسة الأمريكية الداعية إلى عالم يعيش حياة سلام ورخاء، وهى نظرة حالمة غير متعمقة لجذور المشكلات الأوروبية، ولكنها على أية حال محالة لإثبات الدور الأمريكي في صنع السلام، ومن ثم حرص ويلسون على حضور مفاوضات الصلح بنفسه في باريس في أوائل عام ١٩١٩ م كما حرص على ضرورة ادخال نقاطه الأربع عشرة في معاهدة الصلح. وقد

لعبت الولايات المتحدة دورا بارزا في مؤتمر الصلح ممثلة في شخص الرئيس ودرو ويلسون، إلى جانب بريطانيا ممثلة في شخص رئيس وزرائها لويد جورج وفرنسا ممثلة في شخص رئيس وزرائها كليمنصو وايطاليا الممثلة في شخص رئيس وزرائها أورلاندو.

رابعاً: المعاهدات في أعقاب الحرب

مؤتمر ڤرساي ١٩١٩م

افتتح المؤتمر فى يناير ١٩١٩ فى باريس برئاسة "كليمنصو" رئيس وزراء فرنسا للاتفاق على شروط الصلح، وقد حضر المؤتمر مندوبو الدول التى حاربت فى صفوف الحلفاء، كما حضره مندوبون من الأمم والشعوب التى وعدت بالحرية والاستقلال مثل : البولنديين والعرب واليهود الذين منوا بوطن قومى فى فلسطين والصين وتايلاند وليبيريا وكوبا والبرازيل وبنما وجواتيمالا وهندراوس، وقبلت عضوية دول جديدة وهى تشيكوسلوفاكيا وبولندا، أما الدول التى فرض عليها عدم المشاركة فى مؤتمر الصلح فهى الدول المنهزمة: ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا والدول المحايدة وروسيا، ويرجع استبعاد روسيا إلى خروجها من الحرب من تلقاء نفسها، وقد ساعد ذلك الحلفاء على وضع خريطة جديدة لأوروبا الشرقية دون تدخل روسيا.

وقد بدأ المؤتمر جلساته فى ١٨ يناير ١٩١٩ ، ووقعت معاهدة فرساى مع ألمانيا فى ٢٨ يونيو ، وكانت آخر جلسة للمؤتمر فى ٢١ يناير ١٩٢٠، وكان أشهر أعضاء المؤتمر مندوبو الدول الكبرى، حيث كان لكل منهم وجهة نظر. فعلاً وقعت معاهدة الصلح فى صالة "المرايا" فى قصر "فرساى" فى ٢٨ يونيه ١٩١٩، واكتظت حدائق القصر بجمهور الناس ليلقوا نظرة على أقطاب السياسة الذين استعذبوا إذلال ألمانيا، حتى لا تقوم لها فى المستقبل قائمة. فى أعقاب الحرب العالمية الأولى أجبر الحلفاء دولة ألمانيا على توقيع معاهدة الصلح بقصر فرساى بفرنسا تحت شعار "المنتصر يأخذ كل شىء"، وعلى الرغم من انها وقِعت فى ٢٨ يونيو ١٩١٩م إلا أنها أصبحت سارية اعتبارًا من ١٠ يناير ١٩٢١م.

كانت كل من بريطانيا والولايات المتحدة يعارضان المخططات الفرنسية التى تهدف إلى الانتقام الألمانى، بفضل أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين عن ألمانيا ويجعلها تكون تحت إشراف عصبة الأمم، ولكن تخضع لاحتلال عسكرى مشترك من جانب الحلفاء، وهذا الحل يضمن تمامًا أمن فرنسا، وهذا ما يتعارض مع مبادئ ويلسون، وهو ما رفضته بريطانيا والولايات المتحدة لأنه سيدفع ألمانيا إلى أن تفقد الأمل، ويجعلها تُلقى نفسها فى أحضان الاتحاد السوفيتى، والحل الوسط الذى اقترحه رئيس الوزراء لويد جورج" أبدل هذا الضمان الإقليمى بضمان عسكرى ودبلوماسى، فألمانيا التى سينقص عدد قوات جيشها إلى ١٠٠ ألف جندى، وستُحرم من الطيران والدبابات والمدفعية الثقيلة، وستُحرم أيضًا من حق وضع قوات و إنشاء تحصينات فى أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين.

ففى بريطانيا ومنذ اليوم التالى للتوقيع على المعاهدة كان الرأى العام مرحبًا بالمعاهدة، أما فى مجلس العموم فقد تساءل أحد الأعضاء عما إذا كانت المعاهدة ستعرض على البرلمان أم لا ؟، فأشار لويد جورج " أن معاهدة فرساى هى أهم وثيقة فى العالم وُضع عليها ختم الامبراطورية البريطانية موضحًا أنه ليس من الضرورى أن يوقع البرلمان على المعاهدة حيث إن ذلك يُعد من اختصاص الملك، وبعد مناقشة برلمانية سريعة تم التصديق على المعاهدة.

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية؛ فبعد انتهاء الحرب أعلن الرئيس ويلسون:" أنه تم إنجاز كل ما كنا نحارب من أجله وهو ترسيخ الديمقراطية العادلة فى العالم"، وقد نص الدستور على ألا يوقع الرئيس أية معاهدات دولية دون الحصول على موافقة ثلثى أعضاء مجلس الشيوخ، إلا أن الرئيس ويلسون– الديموقراطى– لم يصطحب فيه أحدًا من الأغلبية الجمهورية بالكونجرس، والذين شعروا بأن ويلسون قد استخف بهم، لذلك لما عُوضت المعاهدة على مجلس الشيوخ فى ١٠ يوليو ١٩١٩م رفضوا الموافقة عليها ، فالكونجرس رغبة منه فى الحياد يرفض أى معاهدات أمريكية أوربية.

بموجب معاهدة فرساى استعادت فرنسا الإلزاس واللورين ، وبالتالى حصلت على ثلاث أرباع إنتاج ألمانيا من الحديد ، كما حصلت على استغلال الفحم فى أقليم السار لمدة خمسة عشر عاماً على أن يوضع هذا الإقليم تحت إدارة عصبة الأمم

أثناء هذه الفترة ، وأن يتحدد مصير تبعته باستفتاء عام يجرى فى عام ١٩٣٥ ، وقد جاء الاستفتاء الذى أجرى فى تلك السنة لصالح ألمانيا ، لأن واحداً فى المائة فقط من سكان إقليم السار من غير الألمان ، كما تم الاتفاق على تجريد منطقة الراين إلى عمق خمسين كم من السلاح.

أن رغبة إنجلترا والولايات المتحدة كانتا تعارضان المخططات الفرنسية التى تهدف إلى الانتقام من ألمانيا ، بفصل أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين عن ألمانيا ويجعلها تكون تحت إشراف عصبة الأمم ، ولكن تخضع لاحتلال عسكرى مشترك من جانب الحلفاء، وهذا الحل وإن كان يضمن أمن فرنسا، إلا أنه يتعارض مع مبادئ ويلسون ، لذا رفضته كل من بريطانيا والولايات المتحدة ، لأنه سيدفع ألمانيا إلى أن تفقد الأمل وتلقى بنفسها فى أحضان روسيا ، ولكن لويد جورج اقترح إبدال هذا الضمان الإقليمى بضمان عسكرى ودبلوماسى، فألمانيا التى سينقص عدد قوات جيشها إلى ١٠٠,٠٠٠ جندى، ستحرم من الطيران ومن الدبابات ومن المدفعية الثقيلة ، وستحرم من حق وضع قوات أو إنشاء تحصينات فى أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين.

كما اشترط المؤتمر أنه يجب أن تتخلى ألمانيا عن ممتلكاتها فيما وراء البحار، وأن تسلم أسطولها لصالح الحلفاء، وأن تدفع تعويضات حربية عظيمة، وأن تدفع مبالغ طائلة لإصلاح ما دمرته الحرب، وانتدبت لجنة متحالفة للإشراف على عملية نزع السلاح ، وكان مقرراً أن يُسلم الأسطول للبريطانيين فى ٢١ يونيه ١٩١٩، ولكن الضباط النوتية لم يطيقوا تلك الفعلة ، وبدلاً من أن يسلموه، أفلتوا به وأغرقوا سفنهم عند "سكابا فلو" على مرأى من البريطانيين.

أيضاً بموجب هذا الصلح تخلت ألمانيا لبولندا عن بروسيا الغربية وإقليم بوزن ، ومن ناحية أخرى أصبح البولنديون يتصلون بالبحر مباشرة ، كما ضم إقليم سيليزيا لبولندا وإقليم شلزويج للدنمارك ، وبضياع سيليزيا من ألمانيا حرمت من أكبر مورد للزنك والرصاص ، كذلك حرمت من جميع مستعمراتها ، كما وضعت مصانع الذخيرة الألمانية تحت إشراف الحلفاء ، وأشرف الحلفاء على التعليم فى ألمانيا ، وتعهدت ألمانيا بأن تسلم معظم سفنها التجارية ومقدار كبير من الموارد الأولية كجزء من التعويض للحلفاء ، وحرم على ألمانيا تحصين الشاطئ الشرقى لنهر الراين ، أما

الشاطئ الغربى فقد قرر الحلفاء احتلاله مدة لا تقل عن خمس سنوات ولا تزيد على ١٥ سنة وذلك للتحقق من أن ألمانيا تنفذ شروط الصلح بكل دقة.

وعلاوة على ذلك أرغمت ألمانيا على أن تعلن " أنها هى التى أشعلت نيران الحرب ، فكانت المسئولة عن جميع محنها وويلاتها ، ولم يكتف الحلفاء بذلك ، بل أمضوا فى تأديب ألمانيا ، فتولوا محاكمة عدد كبير من زعماء ألمانيا ، واكتفوا فى المادة (٢٢٧) من المعاهدة باتهام " ولهلم الثانى إمبراطور ألمانيا السابق ، بارتكاب جريمة كبرى ضد الأخلاق الدولية ، وقدسية المعاهدات ، وقرروا محاكمته أمام محكمة خاصة ، ولكن الإمبراطور كان قد فر إلى هولندا التى رأت حماية لاجئها الكبير ورفضت تسليمه إلى الحلفاء.

معاهدة سان جرمان مع النمسا ١٠ سبتمبر ١٩١٩م

فيها مزقت إمبراطورية النمسا والمجر تمزيقاً تاماً ، وبقى من ورائها دويلة صغيرة هى النمسا التى تعهدت بعدم الانضمام إلى ألمانيا وامتدت رومانيا امتداداً بالغاً وراء تخومها الشرعية حتى سويداء ترنسفانيا، ومنحت بولندا معظم غاليسيا ، وعادت بوهيميا إلى الظهور بعد إضافة سلوفاكيا وموارفيا فظهر تحت اسم تشيكوسلوفاكيا، وأصبح الصربيون والكرواتيون وسكان الجبل الأسود دولة يوغسلافيا الجديدة.

معاهدة تريانون مع المجر ، يونية ١٩٢٠

بدأ الحلفاء مفاوضاتهم مع المجر فى نفس الوقت الذى بدأت فيه المحادثات مع النمسا ، ولكن توقيع معاهدة تريانون مع المجر لم يتم إلا فى يونيه ١٩٢٠ ، وذلك لأسباب أدت إلى اضطرابات سياسية داخل المجر عطلت تكوين حكومة مستقرة يعترف بها المجلس الأعلى للصلح فى باريس. وقد تسلم المندوون المجريون صورة المعاهدة المقترحة فى يناير ١٩٢٠ وبموجبها فقدت المجر حدودها القديمة التى وزعت على يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وانضم جزء منها إلى النمسا نفسها.

معاهدة نايى مع بلغاريا ٢٧ نوفمبر ١٩١٩

تقلصت مساحة بلغاريا بموج هذه المعاهدة بعد أن فقدت تراقيا الغربية Thrace التى كانت قد انتزعتها من تركيا فى حرب ١٩١٣ وكانت تعتز بها لأنها منفذها إلى

بحر إيجة ، وقد ضمت هذه المنطقة إلى اليونان ، كما سلمت ثلاث مناطق صغيرة فى حدودها الغربية إلى يوغسلافيا وهكذا أصبحت بلغاريا ، التى كانت تتطلع لزعامة دول البلقان فى ١٩١٢ – ١٩١٣ من أصغر الدول فى تلك المنطقة، وقد فرض الحلفاء على بلغاريا تخفيض التسليح وتسليم الإسطول ، ودفع تعويضات باهظة .

معاهدة سيفر مع الدولة العثمانية ١٠ أغسطس ١٩٢٠

كانت هذه المعاهدة التركية عسيرة الإنشاء مستحيلة التنفيذ ، وقعت عليها حكومة تركية أسمية فى القسطنطينية ، ولكن حكومة تركية حقيقية أخرى تكونت فى أنقرة ورفضت التوقيع عليها ، وغزا جيش رومى منطقة أزمير ، وكانت تركيا قد وقعت على معاهدة مودروس عام ١٩١٨ ، ثم عاد الحلفاء فأجبروها أن توقع على معاهدة سيفر محل المعاهدة الأولى ، وأقيمت فى القسطنطينية رقابة مشتركة للحلفاء (يناير ١٩٢١) وتبخرت حكومة القسطنطينية التركية ، وأنشأت الحكومة التركية الأساسية فى أنقرة علاقات سياسية مع البلاشفة فى موسكو ، وتواصل

أهم الملاحق المتعلقة بالدراسة

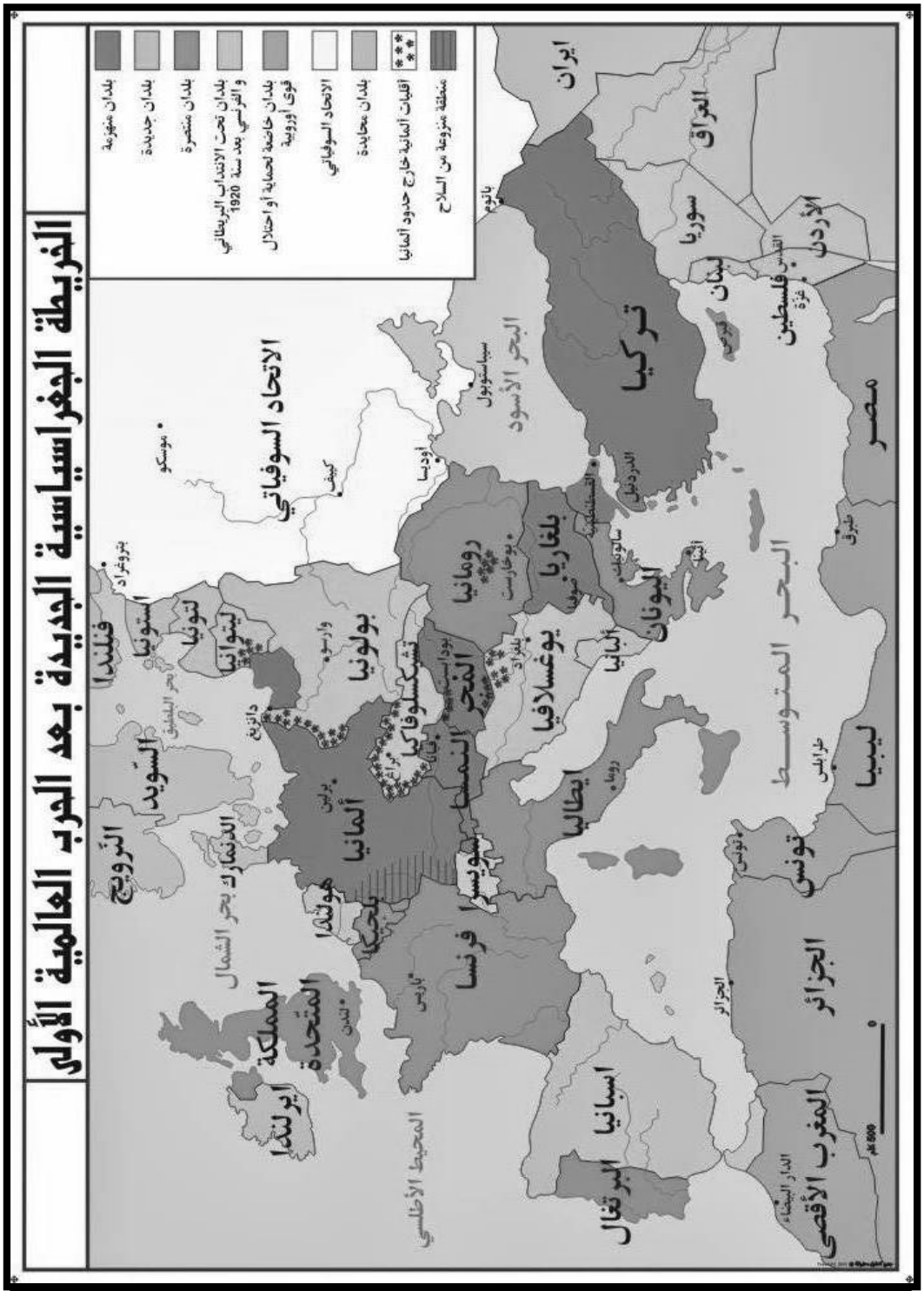

تحت إشراف أ.م.د. محمد سيد إسماعيل

كلية الآداب بقنا
QENA FACULTY OF ARTS
(تاريخ الفكر السياسي)
مكيافيللي (١٤٦٩-١٥٢٧)م
هو المُفكر السياسي الإيطالي" نيقولا مِكيافيللي" المؤسس للتنظير السياسي الواقعي إبان عصر النهضة، وهو صاحب نظرية "الغاية تبرر الوسيلة". ترك مِكيافيللي خلفه ثروة سياسية وأدبية وفكرية قُدِر عددها نحو الثلاثين كتاباً، أشهرها كتاب "الأمير" المكتوب في عام ١٥١٣م، ومن الملاحظ أن هذا الكتاب لم ينشر إلا في عام ١٥٣١م أي بعد وفاة مكيافيلي، ولذا لم يفهمه البعض وهاجموه حتى أصبح اسمه ملازماً للشر، ولم يصل مِكيافيللي وفكره لما وصل إليه الآن إلا في القرن الثامن عشر عندما مدحه جان جاك روسو، وفيخته، وشهد له هيجل بالعبقرية. ويُعتبر مِكيافيللي أحد الأركان التي قام عليها عصر التنوير في أوروبا. وقيل أن «موسوليني» لم يكن لينام حتى يقرأ كتاب الأمير كما قيل: إن «نابليون» و«هتلر» كانا يتّخذانه مرجعًا لسياساتهم.
إهداء من الفرقة
ال.... تاريخ
تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن
مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

كلية الآداب بقنا
QENA FACULTY OF ARTS
(تاريخ الفكر السياسي)
مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥)م
هو المُفكر السياسي الفرنسي "شارل لوي دي سيكوندا "والمعروف باسم" مونتيسكيو" "Montesquieu"، ولد مونتسكيو في عام ١٦٨٩م حيث تعلّم الحقوق وأصبح عضو برلمان عام ١٧١٤م، نشر أهم كتبه في عام ١٧٤٨م والمعروف بـ"روح القوانين" أو«الشرائع» في جنيف في ٣١ جزءاً وأضحى من أبرز المراجع في العلوم السياسية. ولقد أشار في كتابه هذا إلي ثلاثة أنواع من أنظمة الحكم وهي: (الملكية، الديكتاتورية، الجمهورية).
وهو صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا.
إهداء من الفرقة
ال.... تاريخ
تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن
مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

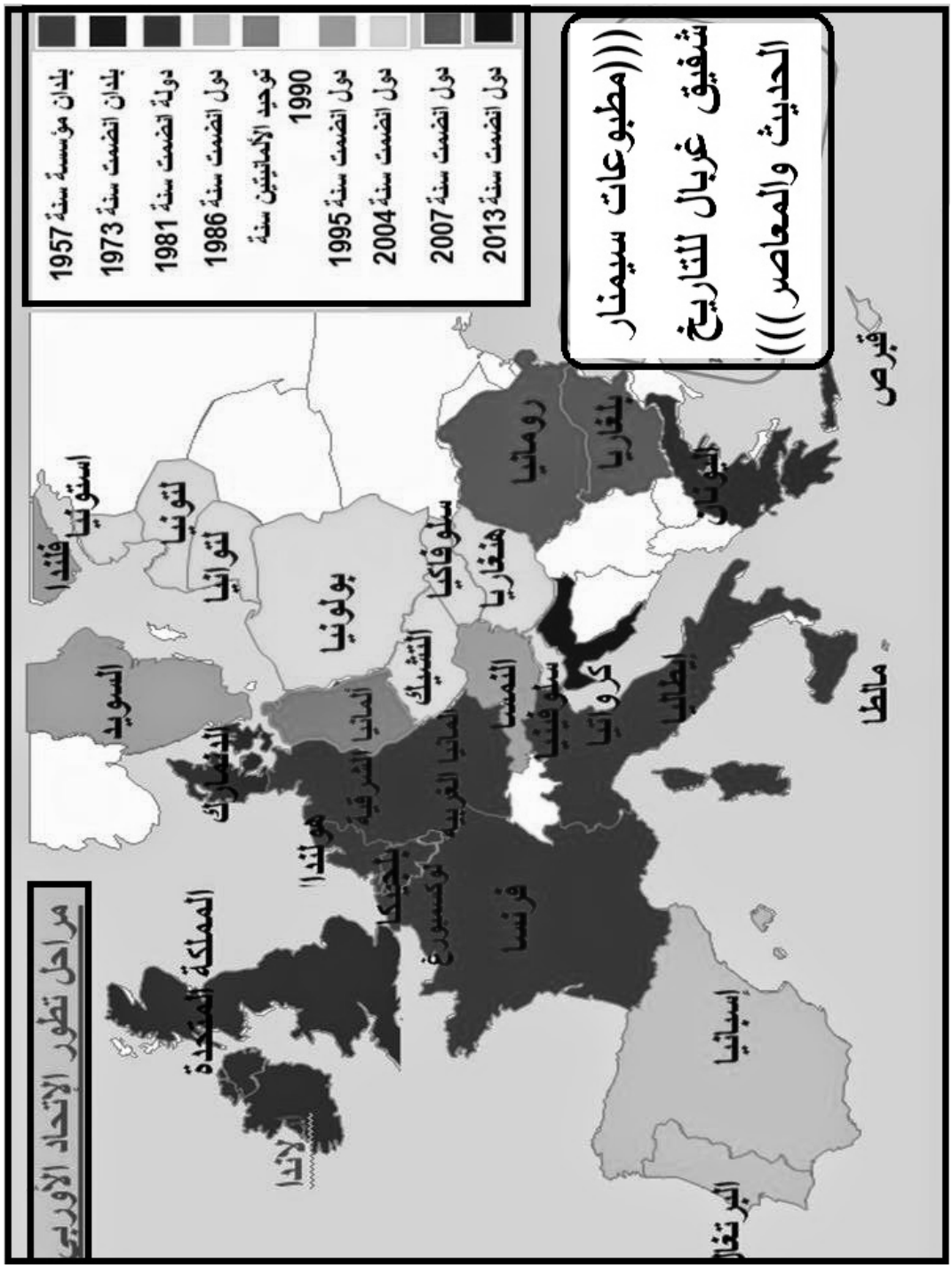

الاتحاد الأوربي تحت إشراف/ أ.م.د. محمد سيد إسماعيل

كلية الآداب بقنا
QENA FACULTY OF ARTS
(تاريخ الفكر السياسي)
روسو (١٧١٢-١٧٧٨)م
هو المُفكر السياسي السويسري" جان جاك روســـو" الحرية صفة أساسيـــة للإنســـان، وحق غير قابل للتفويت، فإذا تخلـــى الإنسان عن حريته فقد تخلى عن إنسانيته وعن حقوقه كإنسان. والحرية تعني تمتع الفرد بجميع حقوقـــه السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية في اطار قانوني. الإنسان ولد طيبا بطبعه ولكن المجتمع هو الذي يفسده.
قام روسو بانتقاد المجتمع في رسائل عديدة. ففي رسالته تحت عنوان : "بحث في منشأ وأسس عـــدم المساواة" (١٧٥٥م)، هاجم المجتمع والملكية الخاصة باعتبارهما من أسباب الظلم وعدم المساواة.
وفي كتاباته السياسية، رسم روسو الخطوط العريضة للنظم التي كان يعتقد، أنها لازمة لإقامـة ديمقراطية يشارك فيها كافة المواطنين.
يعتقد روسو أن القوانين يتعين عليها أن تعبر عـــن الإرادة العامة للشعب. وأي نوع من الحكم يمكن أن يكتســـب الصفة الشرعية مادام النظام الاجتماعـــي القائم إجماعيًا. واستنادًا إلى ما يراه روسو، فإن أشكال كافة الحكم تتجه في آخر الأمر إلى الضعف والذبول.
ولا يمكن كبح التدهور إلا من خلال الإمساك بزمام المعايير الأخلاقية، ومن خلال إسقاط جماعـــات المصالح الخاصة.
وقد تأثر روبسبيير وغيره من زعمـــاء الثورة الفرنسية بأفكار روســـو بشـــأن الدولة، كما أن هذه الأفكـــار كانت مبعـــث إلهام لكثير من الاشتراكيين وبعض الشيوعيين. وكان جان جاك روسو طرفا في الصراع بين القدماء والمعاصرين، وهو جدال أدبي وفني احتـــدم في فرنسا، ونجد موقف روسو في خطابه "خطاب إلى السيد دو أليمبرت".
إهداء من الفرقة
ال.... تاريخ
تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن
مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

كلية الآداب بقنا
QENA FACULTY OF ARTS
(تاريخ الفكر السياسي)
فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨)م
هو المُفكر السياسي الفرنسي"فرانسوا ماري آروويه"، إلا أنه منذ عام ١٧١٨م اتخذ اسماً مستعاراً وهو "فولتير"، عاش مفكرنا خلال عصر التنوير، وكان غزير الإنتاج؛ بجانب أعماله التاريخية كتب العديد من المسرحيات والشعر والروايات والمقالات وأكثر من عشرين ألفا من الخطابات، ولقد تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مفكرين مهمين تنتمي أفكارهم للثورة الأمريكية والثورة الفرنسية.عُرف بنقده الساخر للأوضاع الاجتماعية الفاسدة، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان. سعى فولتير إلى رسم برنامج سياسيٍ يهدف من خلاله إلى القضاء على التعصب الدينيّ؛ وذلك بتقوية الدولة على حساب الكنيسة، إذ تمثل الدولة الجانب القانونيُ المدنيّ، في حين تمثل الكنيسة الجانب الدينيُ المتشدد، على ألا يقع الخلط بين الجانبين فيُتهم الفرد في إيمانه بالله. تُوفيَ فولتير عام ١٧٧٨م في باريس، ورفضت الكنيسة إقامة صلاة له، فدُفن سرًا في إحدى الكنائس. اعتبرته الجمعية الوطنية الفرنسية أحد من بشروا بالثورة الفرنسية فجمعوا رُفاته وبُنيَ نصب تذكاري له في مقبرة العظماء «البانثيون» عقب الثورة الفرنسية.
إهداء من الفرقة
الثالثة قسم التاريخ ٢٠١٧-٢٠١٨م
تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن
مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة

أولاً : باللغة العربية:

- **محافظ عابدين.**
- **محافظ وزارة الخارجية المصرية.**
- **محفوظات مجلس الوزراء.**

ثانياً: باللغة الإنجليزية:

- **The National Archives: Security Matters Relating to the Abdication of HM King Edward VIII, CAB 301/101.**
- **The Wiener Holocaust Library: 4032/S3b**

الوثائق المنشورة

أولاً : وثائق باللغة العربية:

- **الدستور الفرنسى" الصادر فى ٤ أكتوبر ١٩٥٨ وفقاً لآخر تعديلاته الصادرة فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٨.**
- **رياسة الجمهورية: المملكة المتحدة "النظام السياسى والاقتصادى"، مكتب الرئيس للأبحاث الاقتصادية، القاهرة، بدون تاريخ.**

ثانياً: وثائق باللغة الإنجليزية:

- **Documents on German Foreign Policy (1918-1945), Series C, Vol. VI. London: Her Majesty's Stationery Office, 1983**
- **Foreign Office(F.O.)**
- **Foreign Office: Telegram No.6, 4625/11. Sent 11 Dec. 1936. Constitutional Relations of the Empire.**

- **Foreign& Commonwealth Office (FCO)**
- **Hansard: Debates of the House of Commons and the House of Lords.**
- **Hansard: House of Commons Debate.**
- **His Majesty's Declaration of Abdication Act, 1936, 1. EDW.8, Ch.3.**
- **National Archives And Records Administration (N.A.R.A)**
- **The National Archives: Instrument of Abdication, 1936.**
- **The National Archives: Kindertransport collection.**
- **The Royal Marriages Act, 1772.**
- **The Statute of Westminster Act, 1931.**
- **United States, Digital National Security Archive (DNSA)**
- **Wiener, Joel H.:** ***Great Britain "The Lion at Home: A Documentary History of Domestic Policy1689-1973*****", Vol. IV, New York, Chelsea House Publishing, 1974.**

المذكرات الشخصية:

أولاً : باللغة العربية:

– مذكرات روميل: جمعها وأعدها للنشر؛ ب. هـ. ليدل هارت، بمعاونة: لوسى ماريا روميل (زوجته)، مانفريد روميل (ابنه)، الجنرال فريتز بايرلاين، تعريب وتعليق؛ فتحى عبدالله النمر، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٦٦

– ونستون تشرشل: مذكرات تشرشل، ج١، منشورات مكتبة المنار، بغداد، بدون تاريخ.

ثانياً: باللغة الإنجليزية:

– ***A King's Story: The Memoirs of the Duke of Windsor*****. New York, G.P. Putnam's Sons, 1951.**

– Bocca, Geoffrey: ***The Woman Who Would Be Queen: A Biography of the Duchess of Windsor*****. New York, Rinehart& Company, 1954.**

– Middlemas, Keith and John Barnes: ***Baldwin "A Biography*****", London, Macmillan Company, 1969.**

– ***The Heart Has its Reasons "The Memoirs of the Duchess of Windsor***", New York, David McKay Co., 1956.

– ***The Memoirs of Anthony Eden Earl of Avon "Facing the Dictators***", Boston, Houghton Mifflin Co., 1962.

– Winston Churchill: Memoirs of the Second World War, Boston, Houghton Mifflin Co., 1959.

المراجع

أولاً : باللغة العربية:

- أرنست باركر: بريطانيا والشعب البريطانى، بدون ترجة، ١٩٤٥.

- جلال يحيى (د): أوربا فى العصور الحديثة "منذ الحرب العالمية الأولى" (الفترة المعاصرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨١.

- جورج هـ. سباين: تطور الفكر السياسى، ترجمة؛ على ابراهيم السيد، الكتاب الرابع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.

- حافظ عفيفى باشا (د): الإنجليز فى بلادهم، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٣٥.

- داود الضاهر: الفجر الدامى أو " تاريخ الحرب العالمية الثانية"، ج٢، ريودى جنايرو، البرازيل، ١٩٤٨.

- رأفت غنيمى الشيخ (د): أمريكا والعالم فى التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦.

- رولان موسينيه: تاريخ الحضارات العام "القرنان السادس عشر والسابع عشر"، ترجمة؛ يوسف أسعد داغر و فريد داغر، مكتبة عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

- رؤوف سلامة موسى: بريطانيا مهد الديمقراطية وموطن التقاليد، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية، ١٩٩٣.

- رياض الصمد(د): العلاقات الدولية فى القرن العشرين، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦.

- صلاح الدين فوزى (د): البرلمان "دراسة مقارنة تحليلية لبرلمانات العالم"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤.

- عبد الحليم القاضى: دراسات فى التأمينات الاجتماعية (بريطانيا، الاتحاد السوفيتى، الولايات المتحدة)، ١٩٧١م.

- عبد العظيم رمضان (د): تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة "من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة، ج ١، ٢، ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، اللقاهرة، ١٩٩٧.

- عبد الفتاح أبو علية (د) و إسماعيل أحمد ياغى (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط٣، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٣.

- عبدالعزيز نوار (د) ، عبدالمجيد نعنعى : التاريخ المعاصر – أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ، ١٩٨٨ ٠

- عمر عبدالعزيز عمر (د) : أوربا ١٨١٥ – ١٩١٩ ، دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ، ١٩٩٢.

- فاضل حسين (د)، كاظم هاشم نعمة (د): التاريخ الأوربى الحديث(١٨١٥-١٩٣٩)، ط١، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٨٢.

- فرغلى على تُسن هريدى (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١.

- محمد فؤاد شكرى (د) : دراسة فى التاريخ الأوربى المعاصر ١٩٣٩ – ١٩٤٥ ، دار الفكر العربى (ب ٠ ت) ٠

- محمد قاسم، حسين حسنى: تاريخ القرن التاسع عشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.

- مكرم سعيد: الدولار يحكم بريطانيا، دار الفكر، ١٩٦٣.

- ميشيل ستيوارت: نظم الحكم الحديثة، ترجمة؛ أحمد كامل، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٢.

- هـ.أ.فشر: تاريخ أوربا الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع، جمعية التاريخ الحديث،ط٩، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٣.

- وليم أ. روبسن: نظام الحكم فى بريطانيا العظمى؛ ترجمة؛ محمد عوض إبراهيم بك، مطبعة المعارف ومكتبتها، القاهرة، ١٩٤٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

– Beaverbrook, Lord: The Abdication of King Edward. Ed. A.J.P. Taylor. New York, Atheneum, 1966.

– Beloff, Max: Wars and Welfare "Britain 1914-1945", London, Edward Arnold, 1984.

– Berghahn, Marion: German-Jewish Refugees in England "The Ambiguities of Assimilation", London, Macmillan Press, 1984.

– Black, Edgar: Sir Winston Churchill "The Compelling Life Story of One of the Towering Figures of the 20th Century", Derby, Monarch Books Inc., 1961.

– Bloch, Michael: The Duke of Windsor's War "From Europe to the Bahamas, 1939-1945", New York, Coward-McCann, 1982.

– Burns, William E.: A Brief History of Great Britain, New York, Facts on File, 2010.

– Byers, Ann: Saving Children From the Holocaust "The Kindertransport", New Jersey, Enslow Publishers, 2012.

– Cesarani, David: The Jewish Chronicle and Anglo-Jewry (1841-1991), New York, Cambridge University Press, 1994.

– Chisholm, Ann and Michael Davie: Lord Beaverbrook "A Life", New York, Alfred Knopf, 1993.

– Churchill, Winston, ed. Never Give in "The Best of Winston Churchill's Speeches", London, Pimlico, 2004.

– Colville, John: Winston Churchil and His Inner Circle, New York, Wyndham Books, 1981.

– Crew, David F.: Hitler and the Nazis "A History in Documents", New York, Oxford University Press, 2005.

– Donal K. Coffey: British, Commonwealth, and Irish Responses to The Abdication of King Edward VIII, Irish Jurist, New Series, Vol. 44, 2009.

– **Donaldson, Frances: Edward VIII, Philadelphia, J. B. Lippincott Co., 1974.**

– **Eden, Anthony: Foreign Affairs, New York, Harcourt & Company, 1939.**

– **Fast, Vera K.: Children's Exodus "A History of The Kindertransport", New York, I.B.Tauris & Co Ltd., 2011.**

– **Freeman, David: Winston Churchill and Edward VIII. The Churchillian, National Churchill Museum, 75th Anniversary of the Abdication Crisis. Vol. 2, Issue 4, Winter 2011.**

– **Gilbert, Martin: Winston Churchill "The Wilderness Years". Boston, Houghton Mifflin Co., 1982.**

– **Hammel, Andrea: Child Refugees Forever? The History of the Kindertransport to Britain 1938/39, Diskurs Kindheits - und Jugendforschung Heft 2-2010**

– **Hammel, Andrea: Child Refugees Forever? The History of the Kindertransport to Britain 1938/39, Diskurs Kindheits- und Jugendforschung Heft 2-2010.**

الرسائل العلمية:

أولاً : باللغة العربية:

– **محمد سيد إسماعيل: الحياة البرلمانية فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٩– ١٩٤٥)، رسالة دكتوراة، جامعة جنوب الوادى، كلية الآداب بقنا، ٢٠١٥م.**

ثانياً: باللغة الإنجليزية:

– **Blumenthal, Heather: The Limits Of Humanity "George Bell, The Church of England, and German Refugees 1933-1939", MA Thesis, Ontario, 1995.**

– **Brade, Laura Elizabeth: Temporary Exile "National Differences in the Kindertransport Experience and Memory of Children from Austria and Czechoslovakia, MA Thesis, University of North Carolina, 2011.**

–

الدوريات:

أولاً : باللغة العربية

- **المجلة التاريخية المصرية.**
- **المؤرخ العربي**

ثانياً: باللغة الإنجليزية:

- **Brno Studies in English**
- **History and Memory**
- **History Today**
- **Jewish History**
- **Jewish Social Studies**
- **Shofar**
- **The History Teacher**